

الوجه الآخر

الوجه الآخر (رواية بوليسية)

إيرل ستانلي جاردنر

تقديم ومراجعة: خالد سليمان

الطبعة: ٢٠٢٣



العربية للاعلام والفنون والدراسات الانسانية والنشر

٥ ش عبد المنعم سالم – الوحدة العربية – مدكو ر - الهرم – الجيزة - مصر
هاتف: ٣٥٨٦٧٥٧٦ _ ٣٥٨٦٧٥٧٥

http://www.azhabooks.com
E-mail: info@azhabooks.com

بطاقة فهرسة أثناء النشر

إيرل ستانلي جاردنر. – تقديم ومراجعة: خالد سليمان – الوجه الآخر
– الجيزة – أزهى، ٢٠٢٢
١٧١ص، ١٨*٢١ سم.
الترقيم الدولي: ٣ – ٤ – ٨٦٤٦٤ – ٩٧٧ – ٩٧٨
أ – العنوان رقم الإيداع: ٧٠٩٣ / ٢٠٢٣

إيرل ستانلي جاردنر

الوجه الآخر

رواية بوليسية

تقديم ومراجعة

خالد سليمان

تقديم

لو لم يكن في النفس البشرية ذلك الشغف بالغوامض والأسرار، وبحب المغامرة حتى لو كان في الأمر جريمة، ولو لم يصل هذا الشغف إلى حد الهوس عند الأدباء، حتى انصرفوا عن كل أدب ليكتبوا في أسرار الجرائم، وأساليب المجرمين، ولو لم يبلغ هذا النوع من المشاعر بكثير من الناس إلى حد التشوق للخوف والتلذذ بالرعب، لما كانت لنا الرواية البوليسية، التي دخلت مع الداخلين في عصر السينما والتلفزيون، بعدما ظلت قروناً بين دفتي كتاب.

ومن المعروف أن الأدب البوليسي، من أكثر الآداب شيوعا في الغرب، وقد نشأ مبكرا، ربما في القرن السابع عشر أو الثامن عشر، وبالتالي أصبح معتمدا في ذهن القراءة أكثر من كل الآداب الأخرى. وقد ظهرت فيما بعد شخصيات لمحققين اشتهروا بشدة، حتى هذه الشخصيات تكاد أن تكون حقيقية، وقد تجسدت كثير من تلك الشخصيات في ملامح تبدو شبيهة بملامحها المرسومة في الكتب، حين تحولت الروايات إلى أفلام سينمائية، ومن أشهرها هركيول بوارو في روايات البريطانية أجاثا كريستي، والمفتش جاليمار في الروايات الفرنسية التي يقوم ببطولتها اللص لوبين. وبيري ماسون وهو شخصية خيالية، يعمل محاميا جنائيا، وهو الشخصية الرئيسية في أعمال الخيال البوليسي، التي كتبها الأمريكي إيرل ستانلي جاردنر، وقد امتدت سلسلة بيري ماسون لتصل إلى ٨٥ حلقة، ليقترب عددها من نصف أعمال جاردنر الذي خلف وراءه ١٤٧ كتابا، معظمها ينطوي على محاكمة قتل

عميل، عادة ، يثبت ماسون براءة موكله، بدلاً من حكم "غير مذنب" بتورط شخصية أخرى، ثم يعترف بجريمته بوازع ذاتي داخلي.

وقد ولد الكاتب إيرل ستانلي جاردنر في ولاية ماساتشوستس في١٧ يوليو عام ١٨٨٩ وتوفي في عام ١٩٧٠ وكان سيد الخيال الغموض الأمريكي. كان جاردنر محاميًا في مجال الحقوق المدنية قبل أن يصبح مؤلفًا، لذلك تحتوي حبكات قصصه على مؤامرات معقدة ومعقدة. جعلت من المحامي الخيالي أساسًا لمسلسل تلفزيوني شهير، حيث حقق في ذروة شهرته في الستينيات أرقاما يصعب تحقيقها من حيث إقبال القراء على أعماله، فوفقا إحدى الإحصائيات التي تصدر عن اتحاد الناشرين الأمريكيين، كانت كتب جاردنر توزع يوميا ما يفوق ٢٦ ألف نسخة. ومن أعماله خارج نطاق سلسلة بيري ماسون، رواية " الوجه الآخر"، وهي مثال جيد للرواية البوليسية عموما ولرواية إيرل ستانلي جاردنر على وجه الخصوص.

والرواية البوليسية لون خاص جداً من ألوان الأدب. تنتقل بالقارئ إلى عالم الجريمة المناقض بأحداثه وحركته لرتابة الحياة اليومية، وتعده بحتمية تحقيق العدالة في النهاية. بطلاها اثنان: مجرم يوقظ فينا القلق مما يمكن للحياة الاجتماعية أن تحمله من مخاطر، وشرطي أو محقق يأوي قلقنا ويبدده بفعل قدرته على الانتصار للحق. ومن الغريب أنه في مقابل شغف العامة به وإقبالهم عليه، فقد واجه ولا يزال يواجه شيئاً من تعالي البعض عليه، خاصة من قبل النقاد والمبدعين في الألوان الأدبية الأخرى.

وينسب البعض من مؤرخي الأدب نشوء القصة البوليسية في الغرب إلى

الكاتب الفرنسي فولتير (١٦٩٤ – ١٧٧٨م، واسمه الحقيقي فرانسوا ماري أرويه)، في روايته «زاديج»، التي صدرت سنة ١٧٤٧م. ويظن بعض النقاد أن قصة الكلب والحصان، في الفصل الثالث من روايته هذه، تُعد نموذجا مثاليا للأدب البوليسي، ففيها محاولة حقيقية لتحليل جريمة ودوافعها. أما القصة الجنائية الدنماركية «عميد فايلباي» التي ألفها ستين ستينسن بلتشر (١٧٨٢ – ١٨٤٨م)، فصدرت سنة ١٨٢٩م. ثم تلتها رواية جنائية نروجية، هي «اغتيال صانع المحركات رولفسن»، للأديب موريتس هانسن (١٧٩٤ – ١٨٤٢م)، سنة ١٨٣٩م. لكن كل هذه القصص لا تُسمَّى «بوليسية» بالمعنى المعروف اليوم.

وقد تكون أول قصة بهذا المعنى، هي قصة ألمانية عنوانها «الآنسة فون سكوديري»، التي كتبها إي. تي. إيه. هوفمان (١٧٧٦ – ١٨٢٢م) سنة ١٨١٩م، وهي قصة تنتهي بثبوت براءة المشتبه به المفضّل لدى الشرطة الجنائية، في قضية قتل صائغ. وتُعد القصة هذه من أهم ما تأثر به إدجار ألان بو (١٨٠٩ – ١٨٤٩م)، في قصته البوليسية «جرائم شارع مورج». وهو الذي ينسب إليه المؤرخون إنشاء هذا النوع في الآداب الأوروبية بروايته تلك سنة ١٨٤١م، وهي رواية يظهر فيها أوغست دوبان، المحقق الجنائي اللامع والغريب الأطوار. فقد أسس ألان بو أصولاً للعقدة القصصية في الرواية البوليسية لا تزال معتمدة إلى الآن. وتوالت قصصه التي يتولى التحقيق في جرائمها أوغست دوبان، ومنها: «سر ماري روجيه» سنة ١٨٤٣م، ثم «الرسالة المختلَسة» سنة ١٨٤٤م.

أسس ألان بو روايته البوليسية على أن الغرض هو معرفة الحقيقة، وأن

بلوغ هذا الغرض يقتضي مساراً شديد التعقيد، وعملاً سرياً، يجمع الحدس القوي إلى التحليل المنطقي والمراقبة الذكية والاستنتاج النفّاذ. وقد أجمعت الروايات البوليسية الأولى في ذلك العصر على أن تكون القصة من أولها إلى آخرها، متابعة مسيرة المحقق، بطل القصة الأوحد، في اقترابه من حل اللغز الجنائي. ويرى النقّاد أن ألان بو ابتعد عن الخيال في هذه الرواية لأنها مؤسسة على حادثة حقيقية حدثت لامرأة اسمها ماري سيسيليا روجرز.

وربما لا يعرف الكثيرون أن الروائي الإنجليزي الشهير تشارلز ديكنز (١٨١٢ – ١٨٧٠م) كان له إسهام مبكر في الرواية البوليسية، حين كتب روايته «البيت المنعزل»، سنة ١٨٥٣م، وهي قصة محام متواطئ قُتل في مكتبه في ساعة متأخرة من الليل. وقد ظهر عدد من الأشخاص متخفّين على الدرج المؤدي إلى مكتب المحامي المقتول في تلك الليلة، وكان على المحقق أن يفك ألغاز الجريمة لمعرفة مَن مِن هؤلاء هو القاتل. وكان ديكنز يرعى ولكي كولينز (١٨٢٤ – ١٨٨٩م) الذي يُعد مؤسس أدب الرواية البوليسية الخيالية الإنجليزية، بروايته «المرأة ذات الرداء الأبيض»، وبعده جاء عصر آرثر كونان دويل (١٨٥٩ – ١٩٣٠م)، الذي يعد، مع أغاثا كريستي أشهر من كتب في الرواية البوليسية على الإطلاق. فهو الذي ابتكر شخصية «شارلوك هولمز» سنة ١٨٨٧م، أشهر محقق جنائي في أدب الرواية البوليسية. أما شارلوك هولمز بطل روايات كونان دويل، فهو محقق لندني فذ، يمتلك ثقافة فكرية جبّارة، ومقدرة فائقة على الاستفادة من أدق تفصيل لاستنتاج الحقائق، وخبرة ممتازة في شأن الأدلة الجنائية تمكّنه من حل أعقد الألغاز الجرمية. وكتب كونان دويل ستين قصة بطلها شرلوك هولمز.

وقد اتسم عصر الرواية البوليسية الذهبي، بنمط المحقق الهاوي، الرفيع

الأدب والكياسة، الذي يدس أنفه بلباقة وبراءة مصطنعة في جرائم المجتمعات الراقية والقصور والحدائق المترفة، والأرياف الرائعة، والقرى البعيدة. لقد صارت هذه البيئة هي المفضلة في روايات كتّاب هذا النوع، حتى أضحت له دُرجة، أدمن عليها القراء، وفضّلوها.

بينما يفضل كثير من قراء الرواية البوليسية في عصرها الذهبي، الذي بدأ بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية، ألا يكون المحقق بطل الرواية شرطياً محترفاً، بل أن يكون محققاً خاصاً أجيراً أو حتى هاوياً يهتم لسبب ما، بكشف سر الجريمة. لكنه في كل الأحوال لا بد من أن يكون موهوباً شديد الذكاء، وفي هذه المرحلة، ظهرت قصص جنائية شديدة التعقيد، وكان لا بد من تحقيق يقرب من العبقرية لكشف القاتل. وتفنن كُتّاب هذا النمط، في إخفاء اسم القاتل حتى اللحظة الأخيرة، إمعاناً في التشويق. وفي ختام الرواية تظهر كل الحقيقة، ويُكشَف أسلوب المحقق الذي اتبعه في بلوغ هذه الحقيقة.

وكانت قد انتشرت في ثلاثينيات القرن العشرين روايات التحري الخاص، مثل داشييل هاميت وجوناثان لاتيمر وإيرل ستانلي جاردنر، لفضح عالم الجريمة السفلي العنيف، في الشارع الأمريكي. ومن أمثلتها رواية "الوجه الآخر"، وهي نموذج رفيع للرواية البوليسية التي حققت وجودا مستقلا كجنس أدبي، له ما يميزه شكلاً وموضوعاً، اعترف به العديد من الدراسات الأدبية، وبعد هذه الجولة مع معنى وتاريخ الرواية البوليسية نضع بين يدي القارئ هذه الرواية، آملين أن يجد فيها ما يرجوه من متعة وتشويق.

خالد سليمان

الفصل الأول

استند بيري ميسون إلى حاجز الباخرة بينما أخذت المسافة بينها وبين الشاطئ تزداد اتساعًا رويدًا رويدًا .. وراح يتأمل المودعين وهم يلوحون بقبعاتهم ومناديلهم في الهواء. وبعد لحظات أخذت ضوضاء المرفأ تتلاشى بالتدريج.. واختفت قبة مجلس (ألوها) البلدي عن الأنظار، ولم يبق واضحًا غير قمم الجبال الشاهقة والأضواء التي كانت تنبعث من المدينة.. وكانت ديللا ستريت، سكرتيرة بيري ميسون، تقف إلى جانب مخدومها فضغطت فوق يده، وقالت بلهجة رزينة:

– لن أنسى الأيام السعيدة التي قضيناها في هذه البلاد الساحرة يا سيدي..

وأومأ ميسون برأسه.. وقال: أصبت.. لقد كانت عطلة مدهشة.. ولكني أتلهف على استئناف النضال. وأشار بيده في اتجاه شاطئ وايكيكي، وأردف: إن الحياة هناك وادعة هادئة لم تفسدها المدينة بعد بضجيجها وعجيجها.. ولكني مع ذلك لا أستطيع أن أركن إلى حياة الكسل والخمول..

وأطل ميسون وسكرتيرته على المسافرين الذين كانوا يطلون من شرفة الطابق الأسفل في الباخرة. ولم يلبث ميسون أن قال:

– ها هما الاثنان اللذان رأيناهما في المطعم الصيني ليلة أمس. وتتبعت ديللا ستريت اتجاه نظرة ميسون، ثم قالت:

– إنها زميلتي في المقصورة، لقد رأيتها فيما عندما أحضر الحمالون أمتعتي..

– من هي يا ديللا؟

– اسمها بيل نيوبري، ويقيم أبواها في المقصورة رقم ٢١

– ومن صديقها؟

– إنه روى آمبوي هنجر فورد.. ولكنه ليس حبيبها..

– لا تحاولي خداع نفسك، فقد قرأت تعلقه بالفتاة مرتسمًا في نظراته..

فضحكت ديللا وقالت:

– شد ما تدهش حين تعلم إلى أي حد يستطيع الرجال التلاعب بنظراتهم في المناطق الحارة، هل رأيت الفتاة الطويلة القامة، السوداء الشعر، ذات العينين الزرقاوين، التي ترتدي فستانًا ناصع البياض، ويكاد كأهلها أن ينحني لكثرة ما حملت من زهور؟

– نعم رأيتها.. ماذا هناك بشأنها؟

أغلب الظن أن هناك علاقة بينها وبين هنجر فورد، أن اسمها سيلندا ديل، واسم والدها هوس. هوايتمور ديل.. وهم قوم غارقون في الثراء، ويستأجرون جناحًا كبيرًا في الطابق رقم ١..

_ آه! ها هما أبوا بيل.. أظن أنهما يرغبان أن أقدمهما إليك.

واستدار ميسون، فرأى رجلاً ضئيل الجسم في حوالي الخامسة والخمسين

من عمره له جبهة عريضة، وعينان ناتئتان حادتا النظرات، تسير إلى جانبه امرأة تبدو أصغر سنًا منه، ذات قوام رشيق، ومشية وئيدة.

وتأملت المرأة ميسون بعينيها السوداويين في اهتمام، ثم انثنت إلى ديللا ستريت. وانحنت ثم ابتسمت لها, بينما كان الرجل على جموده. وراقب ميسون الزوجين وهما يبتعدان، فلاحظ أن الزوج كان يتطلع إلى الظلام بنظرة تائهة حالمة، بينما انصرفت زوجته إلى تأمل المسافرين باهتمام شديد.

سأل ميسون سكرتيرته هل قابلتهما من قبل؟

– نعم. فقد جاء إلى المقصورة فترة قصيرة.

– إن على سيلندا ديل أن تبادر بإنهاء المعركة بينها وبين بيل وإلا خسرت السباق.. من عجب إنني لا أستطيع أن أتذكر أين رأيت هذه الفتاة من قبل..

فضحكت ديللا وقالت:

– لقد سمعتك تقول ذلك ليلة أمس يا سيدي، ولقد جعلني ذلك أعتقد أنني رأيتها أيضًا ولهذا فقد استفسرت منها عن ذلك الليلة.. إن المسألة لا تعدو تشابهًا شديدًا بينها وبين..

فصاح ميسون مقاطعًا: وبين ويني جويس النجمة السينمائية المعروفة..!

فأومأت ديللا ستريت برأسها وقالت:

– هناك تشابه طبيعي بينهما، وتحاول الآنسة نيوبري تأكيد هذا التشابه بتصفيف شعرها مثلما تفعل النجمة السينمائية، ويبدو لي أن الآنسة نيوبري

تتعمد تقليد ويني في تصرفاتها أيضًا مدفوعة إلى ذلك بحبها العميق لهوليوود.

وانتهى الحديث بين ميسون وسكرتيرته عند هذا الحد وافترقا، فمضت السكرتيرة إلى مقصورتها.. وانثنى ميسون إلى البحر يتأمل مياهه المصطخبة.. ولكنه لم يلبث أن أفاق من تأملاته حين سمع صوتًا نسائيًا يذكر اسمه..

– إنني مسز نيوبري يا مستر ميسون.. ولما كانت ابنتي تقيم مع سكرتيرتك في مقصورة واحدة فقد عرفت كل شيء عنك وجئت لأتحدث إليك في أمر خاص..

فسألها ميسون: هل تريدين التحدث معي في أمر يتعلق بعملي؟

فأومأت برأسها. فتأملها ميسون بإعجاب وقال: ماذا هناك؟

– أريد أن أتحدث إليك عن ابنتي بيل.

فابتسم ميسون وقال:

– أخشى أن تكوني قد أسأت فهم عملي يا مسز نيوبري. إنني لا أتولى القضايا العامة. وإنما اكتفي بالمحاكمات وبخاصة ما يتصل منها بجرائم القتل، ولا شك في أن بيل لم ترتكب ما يجعلها بحاجة إلى خدماتي.

فقالت المرأة بضراعة:

– أرجوك ألا ترفض، فإنني متأكدة من أنك تستطيع مساعدتي.. إن ذلك لن يضيع كثيرًا من وقتك ولكنه قد يقلب حياة بيل رأسًا على عقب..

ولاحظ ميسون أم المرأة بادية الجزع والاضطراب. فقال لها:

– إذن هاتي ما عندك، فإني على استعداد للإصغاء إليك.. ماذا فعلت بيل؟

– لا شيء.. فإن زوجي هو الذي فعل كل شيء، إنه ليس والدها.. فإن بيل ابنتي من زوجي السابق.

فدهش المحامي وقال: ومع ذلك فإنها تحمل اسم نيوبري.

– كلنا يحمل هذا الاسم..

فحار ميسون وقال: لست أفهم ماذا تعنين يا سيدتي؟

فأنشأت تقول على عجل:

– إليك القصة كلها.. إن اسم زوجي هو موار، ولقد كنت مسز موار إلى شهرين مضيًا.. ولكن زوجي غير اسمه منذ أسبوعين فلم يعد (س. ويكر موار)، بل (كارل. و. نيوبري)، كما هجر عمله ككاتب حسابات في شركة المنتجات الصناعية، ثم انتقلنا إلى مدينة أخرى حيث أقمنا فيها تحت اسم نيوبري، وبعدئذ رحلنا إلى هونولولو قضينا هناك ستة أسابيع، وكان زوجي قد أصدر إلينا أمرًا قاطعًا بألا نذكر اسم (موار) مهما كانت الظروف، فصدعنا بالأمر..

فالتمعت عينا ميسون ببريق يدل على فرط الاهتمام وسأل:

– تقولين أنه هجر عمله بغتة؟

– نعم.. فإنه لم يكلف نفسه حتى مئونة العودة إلى مكتبه.

– هذا أمر جد عجيب..

فاقتربت المرأة منه، ووضعت يدها فوق معصمه وضغطت عليه بشدة، ثم قالت:

– أن بيل لا ترتاب في شيء.. فهي فتاة عصرية، جياشة العاطفة، تقبل الحياة على علاتها، وكانت تتلهف منذ عام على أن تتسمى باسم موار، وكانت تقول أنه مما يضايقها أن تقدم أمها للناس باعتبارها مسز موار، وتشرح لهم أن الرجل هو زوج أمها فلما أنبأها زوجي بأننا جميعًا سنتسمى باسمها غمرها فرح شديد.

– يبدو أن العلاقات بينها وبين زوجك على ما يرام..

– إنها تحبها حبًا جنونيًا.. بل يبدو لي في بعض الأحيان أنها تفهمه أكثر مما أفهمه أنا، فإني أرى في كارل لغزًا مغلقًا أحيانًا، فهو رجل قلما يحب الظهور، شديد القناعة بحاله، ولكنه يعبد الأرض التي تطأها بيل بقدميها.. ولم يسبق له أن أظهر تبرمًا من ضيق ذات اليد إلا حديثًا، حيث بدأ يقول أنه متألم لأنه لا يستطيع أن يحصل على مال يكفي لأن يهيئ لبيل فرصة مقابلة القوم الذين يصلحون لها وتصلح لهم. كما أنها لا تملك الثياب والأزياء التي يجب أن تقتنيها، ولا تستطيع السفر..

فابتسم ميسون وقال: أنكم الآن على سفر.

– هذا هو بيت القصيد.. فمنذ شهرين هبط الثراء على زوجي فجأة.

– وهل هذا هو ما دفعه إلى استبدال اسمه؟

– نعم..

– وإلى أي حد كان هذا الثراء؟

– لا أعلم.. فإنه يحمل نقوده في حزام، ولم تتح لي فرصة رؤية ما بداخل هذا الحزام، ولكنه يذهب في بعض الأحيان إلى المصرف لاستبدال ورقة من ذات الألف دولار بأوراق من ذات الفئات الصغيرة.. أنا لست حمقاء يا سيدي، فلم أسلخ تسعًا وثلاثين من عمري عبثًا.

– ألم تطالبيه بإيضاح سر هذه التصرفات الغريبة ومصدر ثروته المفاجئة؟

– وبالطبع. وقد أجابني بأنه ربح ورقة يانصيب،ولكني لا أعتقد ذلك لأن الصحف تنشر أسماء الرابحين. ولما كان قد سئم من حياته الأولى فقد قرر أن يبدأ الحياة من جديد باسم جديد، وفي بيئة جديدة. ولذلك فقد رحلنا ليهيئ لبيل فرصة الاجتماع بمن يليقون بها وتليق بهم كما قلت لك من قبل.

– ألم تصدقي ما قاله لك من أنه ربح ورقة يانصيب؟

– صدقته في بادئ الأمر، ولكني بدأت أشك في صدق قوله أخيرًا. فعندما كنا في هونولولو سمعت أحد الأشخاص يقول أن شركة المنتجات الصناعية عهدت إلى بعض الخبراء بدراسة دفاترها.. ولست أكتمك أنني قلقة.. بل إنني واثقة.. آه! ثم هناك بيل.

فقال ميسون برفق: حسنًا. حدثيني عن بيل.

– إنها مغرمة بالحياة غرام البط بالماء.. فهي سعيدة بطبعها شديدة الاندفاع، سريعة الاختلاط، أنها تشعر بمنتهى السعادة لاختلاطها بالأثرياء

من السائحين.. ومنذ بضعة أيام التقت بروي هنجر فورد في فندق هاواي الملكي، وهو ابن بيتر كولمان هنجر فورد من ملوك الزيت. وكان الشاب شديد التعلق بالآنسة ديل، ولكنه منذ رأى بيل بدأ يوليها اهتمامًا أكثر.

– وماذا قالت الآنسة ديل في ذلك؟

– لم تقل شيئًا، فإنها فتاة أريبة ذكية، بل ومن الغريب أنها أظهرت اهتمامًا أكثر ببيل نفسها.. فبعض النساء يتصرفن على هذا النحو، فيصادقن منافساتهن.

– وهل تظنين أنها تعتبر ابنتك منافسة لها؟

– نعم.. أظن ذلك يا مستر ميسون.

– أكبر ظني أن الآنسة ديل سألت ابنتك عن حياتها، وأين كانت تقيم, وماذا يعمل أبوها..

– نعم.. ولكن بيل استطاعت أن تراوغها بلباقة.. بيد أني أعتقد أن الآنسة ديل لم تقتنع بهذه الإجابات، بل ازداد اهتمامها بالأمر..

– وماذا كان رأي زوجك حين عرف أن أمره قد اجتذب الاهتمام؟

– زوجي؟ لقد اعتزل الناس تقريبًا، فإنني أجد كل الصعوبة في إخراجه من المقصورة لنقوم بجولة على ظهر الباخرة لقد عاد الآن إليها ولاذا بها..

– دعينا نلتزم الصراحة.. إنك ترتابين في أن يكون زوجك قد اختلس مبلغًا كبيرًا من المال من شركة المنتجات الصناعية.. ولكنك تعتقدين أن ابنتك لا ترتاب في شيء من ذلك.. بل تعتقد أنه ربحها في يانصيب، ونظرًا

لأنها نشوى بحياتها الجديدة فإنها لا تفكر مطلقًا في موقف الأسرة المالي، وهذا هو مصدر الخطر إذ يكفي أن تلعب الآنسة ديل دور البوليس السري حتى تفضح بيل وأباها..

فانفجرت مسز نيوبري باكية. وقالت: نعم. هذا ما أخشاه.

فأخذ ميسون يسري عنها.. وقال أنه لن يحدث شيء طالمًا هو على ظهر الباخرة..

وقال: ولماذا لا تدعين الأمور تجري في أعنتها حتى تبلغوا البر.. وبذلك تهيئين الفرصة لابنتك ليزداد اختلاطها بهنجر فورد الشباب؟

– أخشى أن تكون فرصة ذلك قد أفلتت.

– ماذا تعنين؟

– لقد سرق مجهول صور بيل الفوتوغرافية.

فرفع ميسون حاجبيه في دهشة، وأردفت المرأة:

– سرقها مجهول من حقيبة ثياب زوجي بعد الساعة الثالثة من مساء اليوم وقبل الساعة العاشرة مساء.

– وماذا في ذلك؟ لست أرى أية صلة بين صورة ابنتك و..

– عجبًا! أن الطائرة تغادر هونولولو في فجر الغد.. ففي استطاعة من سرق صورة ابنتي أن يرسلها إلى المدينة بالبريد الجوي.. ويعهد إلى بعض رجال البحث السري بالكشف عن حقيقة صاحبتها..

– لا أخالك تعتقدين أن الآنسة ديل تلجأ إلى مثل هذه الوسائل فهزت المرأة كتفها وقالت:

– كل ما أعلمه أنها فتاة أنانية، فاسدة التربية، واسعة الثراء مجردة من الرحمة والشفقة.

– إذن زيديني شرحًا عن حادث سرقة الصورة..

– لقد حزمنا أمتعتنا مبكرين، وتوليت إعداد حقيبة زوجي وكانت بيل قد أهدته صورتها وكتبت فوقها: "إلى أبي، مع حبي.. من بيل".. ولست أدري يا سيدي إذا كنت قد لاحظت وجه الشبه بين ابنتي وبين ويني جويس الممثلة السينمائية.

– نعم.. لاحظته، وعلقت عليه بأنها تحاول تأكيد وجه الشبه بينهما.

– أصبت.. أن غيرك يقولون ذلك، وهو ما يضايق بيل.. لقد أرسلت إلى إحدى دور التصوير في طلب صورة لويني جويسي ثم عهدت إلى أحد المصورين بالتقاط صورتها في نفس الوضع، وبنفس الضوء.. وكانت تلك هي الصورة التي أهدتها إلى زوجي فوضعها في إطار مكتب بيضاوي الشكل، ولقد وضعت هذه الصورة بنفسي في حقيبته قبل الساعة الثالثة مساء اليوم بقليل، وبعدئذ أغلق زوجي الحقيبة بالمفتاح وبقيت مغلقة حتى الساعة العاشرة من مساء الليلة، أي قبل رحيل الباخرة بنصف ساعة.. فقد كنت أنظم وضع الثياب في صوان المقصورة.. وأخرج زوجي مفتاح الحقيبة وفتحها.. فوجدت الإطار في موضعه ولكن الصورة اختفت وحلت محلها صورة الآنسة جويس الممثلة.

فتحت مسز نيوبري حقيبة يدها وأخذت منها إطارًا صغيرًا بداخله صورة وقدمته لميسون الذي تأملها على ضوء مصباح قريب..

سألته: اقرأ الإهداء..

– "المخلصة: ويني جويس" ألا يجوز أن الصورة قد استبدلت قبل أقفال الحقيبة؟

– كلا.. فأنا واثقة بأن الصورة الأصلية كانت في هذا الإطار عندما أغلق زوجي حقيبته بالمفتاح.

– من الخير أن تطالبي زوجك بإيضاح حقيقة موقفه.

– لقد حاولت ذلك ولم أفز بطائل.. إذ أصر على أنه ربح المال من اليانصيب.. فلما ضقت به ذرعًا لمحت له إنني أظن أنه اختلس المال من شركة المنتجات الصناعية، فاتهمني بالجنون ولاذ بالصمت. إنني أريد أن أحسم الأمر معه، ولكني أود أولاً أن يكون زمام الموقف في يدي.. ولهذا جئت أنشد معونتك.. أريد أن تتصل بمكتبك وتطلب إلى مساعديك أن يتأكدوا – ولكن في هدوء وبلا جلبة – مما إذا كان كارل قد أختلس النقود..

– ولنفرض أنه فعل ذلك؟

– سوف أتخذ الإجراءات التي تكفل حماية بيل وسعادتها. فأطرق ميسون قليلاً.. ثم قال: حسنًا يا سيدتي. سأبذل قصارى جهدي لمعاونتك..

وذهب إلى مقصورته حيث أرسل برقية بشفرته الخاصة إلى مكتب صديقه الباحث السري بول دريك بلوس أنجلوس طلب إليه فيها أن يبحث

له حالة س. و. موار الذي كان يعمل بشركة المنتجات الصناعية، وأن يبحث عن اسمه بين رابحي أوراق اليانصيب حلال الشهور الأربعة الماضية، وأن يتأكد مما إذا كانت الممثلة ويني جويس أخت.

الفصل الثاني

وفي صباح اليوم التالي قدمت ديللا ستريت صديقتها بيل نيوبري إلى رئيسها بيري ميسون الذي كان يتجول فوق سطح الباخرة.. ورحب ميسون بالفتاة، فقالت له:

– لقد سمعت عنك كثيرًا يا مستر ميسون.. كما رأيت أمي تتحدث إليك ليلة أمس وأكبر ظني أنها كانت تحدثك بمأساة الأسرة كما تسميها..

فسألها ميسون متصنعًا الدهشة:

– مأساة؟

– نعم.. مأساة الصورة المختفية. فقد وضعت أمي صورتي في حقيبة أبي وأغلقتها وعندما أعادت فتح الحقيبة كانت الصورة قد اختفت من إطارها وحلت محلها صورة شبيهتيويني جويس ولهذا تحاول أمي أن تضفي على الموقف سحابة من الغموض.

فسألها ميسون: إذن فأنت لا تعتقدين أن لهذا الأمر خطورة؟

فضحكت الفتاة وأجابت: أنا كلا بالطبع، فإنني لا أعتقد أن في الحياة أمرًا يستحق أن يشغل الإنسان باله في التفكير فيه.

– وما موقف أبيك من اختفاء الصورة؟

– إنه رجل صموت كثير التفكير ولكنه لم يعرب عن رأيه في هذا الشأن وإن كنا – هو وأنا – نعتقد أنها مرحة أقدم عليها شخص ونحن في الفندق.

وفي تلك اللحظة برز روى هنجر فورد من أحد الأبواب. وتلفت يمينًا وشمالاً حتى إذا وقع بصره عليهم ابتسم وتقدم نحوهم.. فتولت بيل نيوبري تقديمه إلى ميسون وسكرتيرته..

وقالت ديللا للشاب:

– يجب أن تذهبا في جولة فوق سطح السفينة حتى تثيرا شهيتكما.. وأما أنا فباقية مع الرئيس لإنجاز بعض الأعمال.

وشكرت بيل ديللا بنظرة ذات مغزى.. وانصرفت مع روى.

وقص ميسون على سكرتيرته ما كان من أمره مع مسز نيوبري في الليلة الماضية.

فقالت الفتاة: يسرني أن نستأنف النشاط بعد هذا الركود.

وبينما كانا يتناولان طعام الإفطار تلقى ميسون أول برقية بالراديو من دريك..

كانت كالآتي: "تحققت شركة المنتجات الصناعية من وجود اختلاس في حساباتها قدره خمسة وعشرون ألف دولار. وقد عهدت إلى مكتب للأبحاث السرية الخاصة بالبحث عن موظف هارب اسمه موار، ولكن الشركة لم تبلغ الحادث للبوليس حتى الآن، ويبدو أن ذلك راجع إلى انعدام الدليل المادي على الاختلاس"..

ولم يعقب ميسون على البرقية بشيء..

وبعد قليل تلقى برقية أخرى جاء بها أن الأبحاث دلت على أن شخصًا

اسمه موار لم يربح أي يانصيب خلال الأربعة الشهور الأخيرة..

وفي حوالي الظهر تلقى ميسون برقية ثالثة جاء بها أنه ليس لويني جويس أخت.. وحين فرغ ميسون وسكرتيرته من مطالعة البرقية الثالثة أقبلت مسز نيوبري وبعد أن حيتهما صارحها ميسون بما تلقاه من أنباء فقالت المرأة بجزع:

– هذا ما كنت أتوقعه..

فقال ميسون: يجدر بك أن تواجهي زوجك بالحقيقة.

– أؤكد لك ألا جدوى من ذلك.

– إن فاسمحي لي أن أقول لك إنني لن أتولى الدفاع عن زوجك في هذه المشكلة.

– أنا لا أريد منك أن تدافع عنه. كل ما أرمى إليه هو حماية ابنتي.

– حسنًا.. يجب أن يكون مفهومًا في هذه الحالة إنني أمثلك أنت وابنتك فقط وفي هذه الحالة أرجو ألا تصارحي زوجك بذلك.

فأومأت برأسها.. فلما سألها عن المبلغ الباقي مع زوجها قالته أنها لا تعلم عنه شيئًا لأنه يحتفظ به في حزام خاص، ولكنها قدرت أن يكون حوالي عشرين ألف دولار.

ثم قالت:

– هناك مصدر آخر من مصادر الخطر يجب أن تحسب حسابه يا مستر ميسون.

– وما هو؟

– هل لاحظت الرجل ذا العنق المحطم؟

– كلا.. لكن ماذا بشأنه؟

– لا شيء بشأنه.. ولكن بشأن ممرضته.. فإن كارل يعرفها.

– وما وجه الأهمية في ذلك؟

– ألا ترى معنى لذلك؟ لقد كان كارل يعرفها قبل أن يتزوج مني، وهي تعرفه باسم كارل موار، فإذا رأته وعرفته فمن المحقق أنها ستناديه باسم موار فتكون الطامة الكبرى..

– وماذا تعرفين عنها؟

– إن اسمها إيفيلين هوايتنج.. آه.. ها هي قادمة.

وأقبلت في تلك اللحظة ممرضة حسناء، تدفع أمامها مقعدا ذا عجلتين جلس فوقه رجل أدخلت رأسه في شبه كرة من الصلب شدت إلى كتفيه بأحزمة من الجلد بينما كان يحجب عينيه منظار أسود ليقيهما أشعة الشمس.

وقالت مسز نيوبري في لهجة تشف عن العطف:

– مسكين هذا الشاب.. لقد أصيب في حادث سيارة فتهشم عنقه، وقد يضطر إلى ارتداء هذه الكرة الفولاذية عامين أو ثلاثة، ثم إنه لا يستطيع أن يحرك عنقه على الإطلاق، والمفروض أنه يتحتم عليه ألا يتكلم، فحين تلقى عليه ممرضته سؤالاً تضع يدها في يده، فيضغطها مرة إذا وافق واثنتين إذا رفض، كما أنه لا يستطيع استخدام ساقيه.

وتأمل ميسون الممرضة، فأدرك أنها في حوالي الثلاثين من عمرها، بادية

الأناقة جذابة التقاطيع.. وكأنما أحست بأن ميسون يرمقها بنظرة فاحصة، إذ أنها لم تلبث أن حولت عينيها إليه وتأملته باهتمام، ثم استدارت إلى مريضها وقالت له:

– إن الشمس تؤذيك هنا يا مستر كارتمان فيحسن أن نذهب إلى الجانب الآخر من السطح.

ووضعت يدها أسفل الغطاء الموضوع فوق المريض، وعندئذ لاحظ ميسون أن الغطاء اهتز مرة واحدة، فأدارت الممرضة المقعد المتحرك وانطلقت به إلى الظل.

وتحول ميسون إلى مسز نيوبري وسألها: وكيف يتوقع زوجك تجنبها؟

– لا أعلم.. إنه لا يصعد إلى السطح إلا حين تكون هي في مقصورتها.. فإذا علمت أنها مهتمة بمريضها كل الاهتمام أدركت سهولة مهتمة.

– أليس في استطاعته أن يصارحها بأنه يستعمل اسمًا آخر؟

– كلا.. فقد قال لي أنها أعطته يومًا مبلغًا لاستثماره، ولكنه أساء التصرف فضاعت نقودها.

فالتفت ميسون إلى سكرتيرته وقال لها:

– اكتبي برقية بالشفرة إلى مكتبي، وقولي لجاكسون أن يحاول أن يعرف ما هي الضمانات والشروط التي تقبلها شركة المنتجات الصناعية فيما إذا أعاد لها مستر موار قرابة عشرين ألف دولار من المبلغ المختلس. وقولي له أن يوضح للشركة أن هذا مجرد سؤال من جهة مهتمة بالأمر، ولكنها لا تمثل مستر موار بحال، كما أنها لا تعرف أين هو؟

الفصل الثالث

كان من المقرر أن تصل الباخرة إلى سان فرانسيسكو في ساعة متأخرة من ليلة الأحد، وأن ترسو في الميناء في صباح الاثنين المبكر..

وفي يوم السبت تلقى ميسون البرقية الآتية من أحد محامي مكتبه:

"لقد قبل س. دنتون روني كبير مراقبي الحسابات في شركة المنتجات الصناعية بلوس أنجلوس أن يبرق إلى مدير الشركة الموجودة في هونولولو.. ولقد كانت مقابلة روني لي باردة للغاية وسأوافيكم بما يجد في الأمر".

وقال ميسون معقبًا: يبدو أن هذا لا يتمتع بسلطة كافية للبت في الأمر.. مهما يكن، اذهبي وأبرقي إلى جاكسون بالآتي:

"اتصل بمكتب دريك للأبحاث السرية ودعهم يراقبون روني عن كثب، وأن يبذلوا قصارى جهدهم في معرفة شيء يمكنني التأثير على هذا الرجل".

ولما عادت ديللا من مكتب التلغراف بالباخرة قالت لميسون:

– من سوء الحظ أنك لم تكن تعلم أن مدير الشركة كان في هونولولو.

– هذا صحيح. لكن مهما يكن فلا شك في أنه سيخول لروني السلطة في أن يعطي الوعود اللازمة للحصول على العشرين ألف دولار.. آه، وبهذه المناسبة كيف حال الشاب هنجر فورد؟

– أنه يقسن وقته بين سيلندا ديل وبيل نيوبري. ولكن يبدو لي أن صحبة بيل تروقه أكثر، وأنه يجاري سيلندا لأنها من مستواه الاجتماعي.

* * *

وبعد بضع ساعات تلقي ميسون ردًا على برقيته جاء فيه "لقد رفض روني وضع شروط مع لص وأصر على محاكمة موار بلا قيد ولا شرط.. كما أدعى أنه اتصل بالمدير، ولكني أعتقد أنه كاذب في هذه الادعاء. إن روني طاغية متعاظم، مكروه من جميع موظفي الشركة، ويرجع احتفاظه بمنصبه لوجود صلة زواج بينه وبين المدير. أما المدير فموجود حاليًا في عطلة في هونولولو، واسمه مستر تشارلس هويتموردبل، وعنوانه فندق هونولولو الملكي، فهل اتصل به هناك.. لقد عهدت إلى بول دريك بمراقبة روني ولكنهم لم يظفروا بما يستحق الاهتمام حتى الوقت الحاضر".

وما كاد ميسون يفرغ من مطالعة البرقية حتى رفع سماعة التليفون وطلب من العاملة أن تصله بمستر تشارلس هويتموردبل.. وبينما هو في انتظار هذا الاتصال، قالت له سكرتيرته:

– هل نسيت أنه من المحتمل أن تكون سيلندا ديل قد عرفت أن موار موجود على ظهر هذه السفينة فاتصلت بروني؟

فأومأ برأسه وقال: إنني أريد أن أحسم الموقف.. أهذا أنت يا مستر ديل؟ أنا بيري ميسون.. أريد مقابلتك لبعض الشئون العملية.. ليكن ذلك في أي وقت يلاءمك.. حسنًا.. ليكن لقاؤنا في الساعة السادسة مساء.. شكرًا لك.

وأعاد ميسون السماعة إلى مكانها وهو يقول: ليس من الحكمة تأجيل المعركة يا ديللا..

– تعني أنه حتى بفرض أن مستر ديل عرف كل شيء عن موار وابنته بيل فإنك ستحاول مساعدة موار؟

– بل سأحاول مساعدة بيل فقط.

استقبل مستر تشارلس هويتمور ديل مستر بيري ميسون في جناحه الخاص بالباخرة، وكان يرتدي ثياب المساء الأنيقة وقدمه لابنته.. وكانت الفتاة ترتدي ثوبًا للسهرة قاتم اللون: فابتسمت لميسون وهي تراقبه عن كثب.

وجلس ميسون.. وافتتح الحديث قائلاً:

– إنك مدير شركة المنتجات الصناعية يا مستر ديل..

وأومأ مستر ديل برأسه، فأردف ميسون: إن بين موظفي شركتكم رجلاً اسمه س. ويكر موار.

فقال ديل ببرود: إنني لا أعرف جميع موظفي شركة المنتجات الصناعية.

فتأمله ميسون طويلاً، ثم قال:

– إنني لم أطالبك بمعرفة جميع موظفيك ولكنني أعتقد أن اسم س. ويكر موار أصبح مألوفًا لديك خلال الأسابيع الأخيرة؟

فظل وجه مستر ديل على جموده، ثم سأله: لماذا طلبت مقابلتي؟

فتطلع ميسون إلى سيلندا، ثم قال:

– يبدو أن الوقت غير ملائم للحديث الآن.. فلا مانع إذن من أرجائه إلى وقت آخر..

فقال مستر ديل: تستطيع أن تتكلم بكل حرية في وجود ابنتي. لماذا طلبت مقابلتي؟

– فهمت أن اختلاسًا وقع بشركتكم، وأن هذا الاختلاس يقدر بمبلغ خمسة وعشرين ألف ريال، وقد اقترن باختفاء مستر موار وانقطاعه عن عمله. وعندي من الأسباب ما يحملني على الاعتقاد بأن في استطاعة الشركة أن تسترد حوالي العشرين ألف دولار من هذا المبلغ.

– هل أنت محامي موار؟

– كلا..

– إذن محامي من؟

– جهة يهمها الأمر.

– هل تستطيع أن تكشف لي عن هذه الجهة؟

– وهل يغير ذلك من نظرتك إلى الموقف؟

– ربما.

– هل أستطيع أن أعرف مدى هذا التغيير؟

فتردد مستر ديل لحظة ثم أجاب:

– إنني لا أقبل المفاوضة مع مجرم أو من يمثله.

– هل لي أن أفهم أن الشركة ترحب باستعادة عشرين ألف دولار؟

– ربما..

فتحول ميسون إلى سيلندا واستأذنها في التدخين ثم قدم لها لفافة وأشعلها لها.. وسأله مستر ديل: إنك لم تقل لي من تمثل يا مستر ميسون؟

– ألا يكفي أن أقول لك إنني لا أمثل مستر موار.

– إذن كيف تضمن إعادة المال إذا لم تكن تمثله أو تمثل شريكه؟

– إنني لا أمثله ولا أمثل أي شريك له، كما أنني لا أضمن إعادة أي مبلغ.. وفقط أنا ألقي أسئلة..

– إذن أرجو تحديد سؤالك

– هل الشركة على استعداد لأن تمنح مستر موار بعض الامتيازات مقابل استرداد حوالي عشرين ألف دولار من المبلغ المختلس.

– طبيعي أن الشركة يهمها استعادة نقودها وإني على ثقة من أننا لن نرفض منح بعض الامتيازات في مقابل ذلك.. ماذا تريد؟

– أريد أن يكون مفهومًا بصفة قاطعة.. إنني أصر على ألا تبذل أية محاولة لإلقاء القبض على موار إلى أن يسلم نفسه للبوليس من تلقاء ذاته، وأن يسمح له بالاعتراف بجرمه تحت أي اسم يختاره وأن يحكم عليه تحت هذا الاسم.

– هل لي أن أفهم من ذلك أنك تريد منا أن نتعهد بعدم الإقدام على أية خطوة للقبض على موار لمجرد اقتراحك بأن النقود سترد؟

فهز ميسون رأسه سلبًا.. وقال: سأبذل لك وعدًا مقابل وعدك.. وسأعمل على إيداع حوالي عشرين ألف دولار في مصرف.. وحين تصل النقود إلى يدي سوف أطالبك بالموافقة على الكف عن المطالبة بالقبض على موار لمدة معينة.. لتكن أسبوعين مثلاً..

فقال ديل ببطء: في الإمكان تدبير هذا الأمر.

وانتهت المقابلة بين الرجلين على ذلك، وبينما كان ميسون يتهيأ للانصراف قال:

– أود أن أقول لك يا مستر ديل أن مستر ك. دنتون روني لا يهتم بمصلحة الشركة بقدر اهتمامك بها. فإذا وصلنا إلى اتفاق فلن أسمح له بالتدخل وإفساده.

– لا تقلق يا مستر ميسون.. إن روني زوج أخت زوجتي وهو مدين بمنصبه لهذه العلاقة ولي.

وفي المساء تقابل ميسون مع مسز موار في بار الباخرة، فحدثها بما أقدم عليه وطلب إليها أن تعمل على معرفة المبلغ الباقي مع زوجها، وأن تضعه بين يديه (يدي ميسون) بعد أن تفضي إلى زوجها بما يدبر لمصلحته بشرط ألا تفضي إليه بأنه يمثله.

الفصل الرابع

وأقبل يوم الأحد أخيرًا.. وما كاد ميزان النهار يميل حتى هبت ريح صرصر عاتية وهطل غزير، وأخذت الباخرة تتمايل ذات اليمين وذات الشمال. وبينما كان ميسون يسير على السطح رقم ج، إذا التقى ببيل نيوبري وهي تسير في الممر. وحيته الفتاة بحرارة. ثم قالت أنها تبحث عنه، ودعته إلى ردهة الجلوس للتحدث إليه. ولما استقرا في مقعديهما قالت:

– لقد أردت أن أسألك عما قالته لك أمي عن أبي.

– وما الذي جعلك تعتقدين أن أمك كانت تتحدث إلي عن أبيك؟

– لقد رأيتها مرتين تتحدث إليك باهتمام فلما اقتربت منكما لاذت بالصمت، فأدركت أنها كانت تحدثك عن أبي وعن ثروته الطارئة. وأدركت كذلك أنها تخفي شيئًا عني وأن لهذا الشيء علاقة بأبي. ولهذا فإنني أرى ألا تكتفي بسماع أقوال أحد الجانبين دون الجانب الآخر.

– وهل لديه ما يحدثني عنه؟

فبدأ التأفف والضيق على الفتاة، وقالت:

– لقد عرف أبي أن أمي تحدثت إليك أكثر من مرة. ألا ترى إنه من المستحسن أن تتحدث إليه أيضًا؟

– لقد فهمت من أمك أن أباك يمقت المحامين..

– هذا خطأ.. لقد كان أبي يكره المحامين الجنائيين. ولكن حقده هذا

انتهى عندما اختير محلفًا في محاكمة رجل متهم بارتكاب جريمة قتل.. ويقول أبي أن المتهم كان بريئًا، ولكن محاميه، وكان اسمه فان دنسي باعه. ومع ذلك فإنهم لم يستطيعوا التغرير بأبي، فطالب ببراءة المتهم برغم معارضة الإحدى عشر محلفًا الآخرين، وأخيرًا استطاع أبي أن يقنع باقي المحلفين ببراءة المتهم، وقد كان لذلك تأثير عميق في نفس أبي وهو يقول أن أي رجل قد يتهم بارتكاب جريمة قتل وأن الأدلة قد تجعل موقفه ميئوسًا منه، ولهذا يجب أن يتولى محامون أكفاء نزهاء الدفاع من أمثال هؤلاء المتهمين. أفلا تقابله أذن..؟

– يحسن أن تتحدثي إلى أمك في هذا الشأن..

فأطالت الفتاة النظر إلى وجه المحامي ثم سألته:

– ترى هل لما يدور وراء ظهري علاقة بسعادتي؟ أنا لست طفلة يا مستر ميسون، وقلبي يحدثني بأن في الأمر شيئًا سوف يؤثر علي.. لقد ربح أبي يانصيب، فإذا كان ذلك أمرًا غير مشروع فإن عليه أن يعيد المال، ولكني أفضل ألا يقال شيء أو يتخذ أي إجراء حتى ترسو السفينة. وأظنك تعرف السبب.

– نعم أعرفه. وأود أن تعلمي أن أمك تبذل قصارى جهدها العمل على راحتك.

فأغرورقت عينا الفتاة بالدموع وقالت:

– شد ما أود لو كان الموقف على غير ما هو عليه ولو لم أعرف روى إطلاقًا. إنني أدرك أن أمي أو أبي أو هما معًا يدبران أمرًا يبغيان من ورائه

أعطائي فرصة للظهور في الحياة الاجتماعية، ولكنهما لن يوفقا لأنني لست من دنيا روى كما أن الشاب ليس من دنياي. مهما يكن، فأرجو ألا تدعى أمي تقدم على أية تضحية غير مجدية من أجلي، فغدا ترسو السفينة، وعندئذ سوف أقطع علاقتي بروي وينتهي كل شيء بيننا.

واستشف ميسون من لهجة الفتاة تعلقها بروي فحاول أن يثنيها عن عزمها وأن يشجعها على المحافظة على علاقتها بالشاب، ولكنها أصرت على رأيها.

الفصل الخامس

تخلف بعض المسافرين عن حضور وليمة الربان نظرًا لشدة العاصفة. وجلس ميسون مع سكرتيرته ديللا ستريت، بينما كان ينظر إلى أسرة نيوبري تحتفي بروي هنجر فورد.

سألت ديللا: ألم يحن الوقت لتحديد موقفك منهم؟

– نعم.. لقد طلبت إلى مسز نيوبري أن تحدد لي موقفي قبل الساعة العاشرة من مساء الليلة، فطلبت مني أن انتظرها في مقصورتها في الساعة التاسعة والنصف وستوافيني إلى هناك ومعها النقود وعندئذ سوف أذهب إلى ديل وأتفق معه.

– يبدو أن موار، أو نيوبري كما يطلق على نفسه، غير آبه بما يدور حوله.

– نعم ومن حسن حظه أن الممرضة إيفيلين هوايتنج تتناول وجباتها في مقصورتها..

– أعتقد أن نيوبري قد وصل إلى اتفاق ما مع هذه المرأة.

– ما الذي جعلك تعتقدين ذلك؟

– رأيته يخرج من مقصورة الممرضة بعد ظهر أمس وعلى شفتيه ابتسامة عريضة.

وأدار ميسون دفة الحديث إلى بيل فعلم من سكرتيرته أن الفتاة قالت

أنها سوف تطلب من روي أن يقابلها في سباق سانتا أنيتا يوم الثلاثاء المقبل ولكنها لن توافيه في الموعد لأنها اعتزمت أن تقطع كل صلتها به. وكانت الساعة وقتئذ قد بلغت الثامنة والدقيقة الخامسة والثلاثين فاستأذنت ديللا في الانضمام إلى أسرة نيوبري بعد أن تواعدت مع ميسون على اللقاء في الساعة التاسعة ليتناولا كأسًا من الشراب من الشراب، ثم ينطلق ميسون لمقابلة مسز نيوبري في الموعد المحدد.

وارتدى ميسون معطفه وغادر الغرفة إلى الممر المسقوف. ولاحظ أن المطر ينهمر بغزارة حتى لقد كانت أضواء المصابيح تبدو حمراء باهتة، وصوت العاصفة يصم الآذان. عندئذ لاحظ أن ممشى الباخرة معرض للمطر، اتجه إلى السطح الأسفل وسار ببطء وقطرات المطر ترتطم بوجهه.. وفي تلك اللحظة دقت أجراس الباخرة دقتين معلنة حلول الساعة التاسعة.. ولكن الريح طغت على رنين الأجراس. بينما أخذت الباخرة تتأرجح ذات اليمين وذات الشمال. فأسرع ميسون يعتمد على سور السطح خشية السقوط وبذلك استطاع أن يرى سطح الباخرة الأسفل.. وفجأة.. سمع ميسون صرخة ضعيفة.. أعقبها صوت طلق ناري.. فجمد مكانه وأصاخ السمع.. وسمع صرخة أخرى، وخيل إليها أنها صادرة من السطح الثاني فوق الذي يعلوه.

وعندما استقرت الباخرة فق صفحة الماء، مال ميسون فوق الحاجز وحاول أن يحملق إلى أعلى ولكن المطر أرغمه على إغلاق عينيه. بينما أقبلت موجة عاتية صدمت الباخرة في مقدمتها فاختل توازنها وتأرجحت. وفي اللحظة التالية سمع ميسون رنين جرس بعد أعقبه صفير متقطع خمس دفعات.. ووقع أقدام كثيرة تهرول فوق السطح العلوي، وبعدئذ ألقيت حلقة

نجاة في الماء، وسلطت أنوار الباخرة الكاشفة على سطح الماء.. فاستدار ميسون على عقبيه وتقدم من الباب، ولكنه فتح فجأة. ودخل منه ضابط أمره بالعودة من حيث أتى.. ولما استفسره ميسون عما حدث إجابة بأن شخصًا سقط في الماء. ثم هرول مستعدًا..

ومضى ميسون من فوره إلى غرفة جلوس مسز نيوبري. وطرقه ولكنه لم يتلق ردا.. فأعاد الطرق بعنف عدة مرات، وعندئذ سمع صوت مسز نيوبري تسأل: "من الطارق"؟ فلما أخبرها باسمه استمهلته لحظة ولكنه راح يستحثها على فتح الباب ففتحته وهي تقول:

– حسنًا.. أدخل ما دمت تعتقد أن الأمر هام..

كانت المرأة شبه عارية إلا من قميص، فلما أغلق ميسون الباب أسرعت ترتدي ثوبًا، ثم سألته عن سبب زيارته المفاجئة.. فسألها عن زوجها فأجابت:

– قال أنه ذاهب لمقابلة رجل، ووعد بأن يعود بعد خمس دقائق.. لكن ماذا حل بساعتك فإن الساعة لم تبلغ النصف بعد التاسعة الآن؟

– ومتى رأيت زوجك لآخر مرة؟

– منذ خمس دقائق، فقد انفرط عقد جماعتنا عندما تلقى زوجي رسالة وقال أنه ذاهب لمقابلة رجل لشئون عملية.

– وماذا فعلت؟

– جئت إلى هنا وخلعت ثوبي لأن قليلاً من النبيذ انسكب فوقه.. لقد كان من المقرر أن نضع حدًا للموقف بيني وبين زوجي ومن المحتمل أن يعود

في أية لحظة.. لكن ما هذه الضوضاء التي اسمعها؟ أن الباخرة تدور حول نفسها فلعلنا لا نكون قد ارتطمنا بصخرة أو جبل ثلجي.. أنظر أني أرى ضوءًا على صفحة الماء! يا لله! إنها الأنوار الكاشفة!

وأومأ ميسون برأسه. وراح يتأمل المرأة بعناية.. ثم قال:

– أكثر ما يهمني هو أن أعرف أين ذهب زوجك وماذا صنع حيث ذهب؟

فواجهته قائلة بحدة:

– أصغ إلي يا ميسون.. لقد فتحت لك الباب حين تبينت في لهجتك أن أمر خطيرًا قد حدث. فيجب أن تصارحني بكل شيء.

– سمعت صوت طلق ناري، وأخبرني أحد الضباط أن رجلاً سقط في الماء، فهل تفهمين شيئًا من ذلك؟

فحدقت في وجهه بعينين تجسم فيهما الفزع، وتقدمت من منضدة الزينة وفتحت درجها ووقفت تتأمله مبهوتة. ثم قالت: لقد اختفى مسدس كارل.

– يحسن أن تخبريني بكل شيء.

– لقد قلت لزوجي إنني مصممة على معرفة مصدر النقود وأن يعطيها لي، فقال أنه سيتحدث إلي في ذلك فيما بعد, وبينما كنا على وشك الفراغ من تناول طعام العشاء الليلة، أقبل صبي من خدم الباخرة وقدم لزوجي رسالة ما أن قرأها حتى اعتذر بأنه ذاهب لمقابلة رجل لعمل من الأعمال، وبذلك انفرط عقد جماعتنا، فجئنا، كارل وأنا، إلى هنا، وقلت له أنني أريد

وضع حد للموقف الحاضر، وأن أحصل على النقود من أجل بيل، فقال أنه سيعود بعد خمس دقائق لأنه ذاهب لمقابلة رجل في أمر هام.

– وهل كان في الدرج مسدس، ومتى رأيته لآخر مرة؟

كان كارل يحتفظ بمسدسه في هذا الدرج ورأيته آخر مرة بعد ظهر اليوم.

– لقد عرفت مصادفة أن زوجك كان على اتصال بإيفلين هوايتنج. وأظن أنه حاول أن يصل إلى اتفاق معها حتى لا تكشف عن شخصيته الحقيقية. فهل تظنين أنه من المحتمل أن يكون زوجك قد ذهب للقائها ومسدسه معه؟

– لا أعلم.. بالله عليك يا مستر ميسون، عدني أن تقف بجانبي من أجل بيل.

فتردد ميسون هنيهة ثم وعدها، وقال: أخبريني ماذا قلت لزوجك بالدقة؟

– قلت له إن مستر ديل مدير شركة المنتجات الصناعية موجود على ظهر الباخرة، ولكنه لم يبد اهتمامًا بذلك، فقلت له أن الرجل على استعداد لأن يقدم له بعض الامتيازات إذا أعاد النقود، فهددني بالذبح إن حاولت أن أتصل بالمدير في هذا الشأن مبررًا قوله بأنه لم يأخذ سنتا واحدًا من الشركة. وعندئذ قلت له أن سيلندا ديل تتلمس الفرصة للقضاء على بيل، فجن جنونه.. وقد حدث ذلك أثناء مجيئنا إلى هنا.. وعندما تحولت إلى الدولاب لأخرج ثوبًا آخر، غادر الفرقة وصفق الباب خلفه.

– أظن أنه من الأفضل أن نخرج إلى سطح الباخرة لنستطلع جلية الأمر.. هل أنت واثقة من أن كارل أخذ المسدس؟

– نعم، فقد سمعته يغلق باب المقصورة بعنف، ولكني لم أفهم السبب وقتذاك.

وأثارت المرأة موضوع التأمين على حياة زوجها خشية أن يكون قد أقدم على الانتحار، وقالت أن كارل أمن على حياته بخمسين ألف ريال منذ شهرين. فقال لها ميسون أن في عقود التأمين نصًا لا يجيز دفع التأمين للورثة إذا أقدم المؤمن على الانتحار قبل انقضاء سنة على التأمين. وغادرا الغرفة، وبينما كان يتقدمان في الممشى التقيا بديلا ستريت، وكانت بادية اللهفة والجزع. وقالت أنها سمعت بقصة الغريق وأنها تبحث عن مخدومها لأمر هام.

وفي تلك اللحظة قدم أحد ضباط الباخرة مهرولاً وطلب إلى الجميع أن يعودوا إلى مقصورتهم ويلزموها حتى تسهل معرفة اسم الغريق، ولم يجد ميسون مفرًا من الرضوخ لهذا الأمر فعادوا جميعًا إلى مقصورة مسز نيوبري. ودخلت مسز نيوبري إلى المقصورة وديللا ستريت في أثرها، وبينما كان ميسون يتهيأ للدخول وراءهما سمع وقع أقدام تركض، ثم برزت بيل نيوبري في أول الدهليز وكانت تمسك بطرف ردائها، ثم ترنحت، واستعادت توازنها، واندفعت نحو ميسون وهي تهتف:

– هل أمي هنا يا مستر ميسون؟

فأومأ ميسون برأسه، وأفسح لها الطريق حتى دخلت ثم أغلق الباب، وهتفت الفتاة:

– أواه يا أمي.. لقد سقط شخص في الماء، فتولاني فزع عظيم، وخشيت أن يكون..! لكن أين أبي يا أمي؟ لقد بحثت عنه في كل مكان بغير جدوى.. فأين هو الآن؟

– ذهب ليقابل رجلا ويحتمل أن يكون في المشرب..

ومضت مسز نيوبري تحاول تهدئة ابنتها، ولكن الفتاة قالت:

– إن غيابه يقلق بالي.. يا لله أين روي أيضًا؟

فأجاب ميسون: يحتمل أنه في مقصورته..

فغادرت الفتاة المقصورة تهرول وهي تقول: سأعود بعد لحظات..

وبعد لحظات عادت بيل وأعلنت أنها وجدت روي في مقصورته، ولكنها أعلنت عن مخاوفها لغياب أبيها.. وأقبل ربان السفينة في تلك اللحظة ومعه مساعده ودخلا إلى المقصورة.. وقال الربان:

– أرجو المعذرة.. ولكني مضطر إلى اتخاذ احتياطات استثنائية لأن راكبًا من ركاب الباخرة سقط في الماء.

وتحول إلى مسز نيوبري فسألها عن زوجها ومتى رأته لآخر مرة وأين كان ذلك.

فأجابته بأنها لا تعلم أين زوجها وأنها رأته لآخر مرة عقب الانتهاء من تناول طعام العشاء حين جاءا معًا إلى جناحهما ثم انصرف هو مباشرة.

فقال الربان:

– يؤسفني يا سيدتي أن أبلغك أننا لم نعثر على زوجك حتى الآن، فهل أنت واثقة من أنك لم تريه منذ جئتما إلى هنا عقب تناول الطعام؟

فأجابته بأنها واثقة من ذلك. ولكنه عاد يسألها هل تعلم أين ذهب زوجها، فأجابته بأنها تظن أنه ذهب إلى المشرب لمقابلة رجل.

وتبادل الربان ومساعده النظرات، ثم قال: إني أذكر أنك غادرت المائدة في الساعة الثامنة والدقيقة الخمسين يا سيدتي.. أليس كذلك؟

– ربما بعد ذلك بقليل.. أي في الساعة الثامنة والدقيقة الخامسة والخمسين.

وتدخلت ديللا ستريت في الحديث قائلة:

– أظن أنني أستطيع أن أدلي بكلمة في هذا الموضوع.. لقد انصرف مستر ميسون من غرفة المائدة في الثامنة والدقيقة الخامسة والثلاثين فانتقلت إلى مائدة آل نيوبري وبقيت مع الأسرة خمسة عشر دقيقة. وعندما انفرط عقد الجماعة تطلعت إلى ساعتي فإذا بها الثامنة والدقيقة الثانية والخمسون.. وأذكر أن مستر نيوبري تلقى رسالة من صبي من خدم الباخرة فاعتذر وانصرف.. وعدت أنا إلى غرفتي.

فسألها الربان: وماذا فعلت بعد انصرافك من غرفة المائدة؟

فبدت الدهشة على وجه الفتاة وأجابت. ارتديت معطفي وقبعتي وصعدت إلى سطح السفينة لأبحث عن مستر ميسون ووجدته هناك.

واستدار الربان إلى مسز نيوبري وقال لها:

– يبدو أنك استبدلت ثوبك يا سيدتي فهل لك أن تخبريني عن السبب؟

فظهر الغضب والكبرياء على وجه المرأة.. وهتفت بحدة:

– سوف أشكوك للشركة؟

فتردد الربان.. ولكنه لم يلبث أن صارح مسز نيوبري بأنه سيفتش غرفتها فرفضت المرأة محتجة، ولكن الربان أصر على رأيه، فتدخل ميسون في الموقف مطالبًا الربان بإبداء السبب، بيد أن الرجل رفض إبداء السبب قائلاً أنه ممثل القانون على ظهر الباخرة وإن من حقه أن يفعل ما يشاء لمصلحة العدالة.. فحاولت مسز نيوبري أن تعترض طريقه فنصحها ميسون بألا تفعل فاضطرت إلى الإذعان كارهة. وبدأ الربان يفتش الغرفة بدقة وعناية. فلم يلبث أن أخرج من الدولاب ثوبًا حريريًا مبتلاً، وحذاء سهرة أسود.. وقال:

– لقد كنت ترتدين هذا الثوب وهذا الحذاء أثناء العشاء يا سيدتي.. ولكني أعجب كيف ابتلا وأنت لم تصعدي إلى ظهر الباخرة؟

فتدخل ميسون للمرة الثانية في الموقف. وقال:

– أرجو المعذرة يا سيدي، لست أرى معنى لسؤالك. ثم إنني لا أجد ما يبيح لك إلقاءه.

– ثمة أشياء تجهلها يا مستر ميسون هي التي تدفعني إلى إلقاء هذه الأسئلة.

– إذن هي لي أن أسألك أن توضح لنا هذه الأشياء؟

– لا أستطيع، فهل لمسز نيوبري أن تجيب عن سؤالي؟

ولكن مسز نيوبري رفضت أن تجيب عن السؤال، فانصرف الربان ومساعدة إلى متابعة تفتيش المقصورة. فقالت بيل نيوبري وهي تحيط أمها بذراعيها:

– هذا امتهان شديد للحرمات.. وإني أطالب بالإيضاح. ثم إني أريد أن أعرف لماذا تظنون أن أبي مفقود؟

فقال الربان: يؤسفني أن أقول إنه من المحتمل ألا يكون ما حدث مصادفة بحتة فإن ما لدى من معلومات يجعلني أرجح أن مستر نيوبري قد قتل!

فأطلقت مسز نيوبري صرخة مكتومة وتراجعت ابنتها إلى الخلف بينما قال الربان:

– إنني أبذل كل ما في طاقتي لإنقاذ الغريق ولكني لا أستطيع أن أجازف بأرواح بحارتي ألا إذا استطعت تحديد موقع الغريق وهذا ما يحاول ضابط الباخرة الأول تحقيقه.

واستأنف الربان التفتيش وإن هي إلا لحظات حتى عثر تحت حشية أحد الفراشين المتجاورين بحزام نقود مصنوع من الجلد، وكان مبتلاً وجيوبه منتفخة..

سأل الربان: هل لك أن تخبرينا ما هذا يا سيدتي وماذا بداخله؟

فأجابت: هذا حزام نقود، أما ما بداخله فليس من شأنك.

– وكيف ابتل هذا الحزام يا سيدتي؟

– لن أجيب عن هذا السؤال.

– إذن سأفتح جيوب الحزام لأرى ما بداخلها. فهلا ساعدتني على إحصاء ما بداخله يا سيدتي؟

فلزمت المرأة الصمت.. فأعاد الربان السؤال على ميسون فرفض بدوره. وعندئذ تحول الربان إلى مساعده.. وفتحا الحزام معًا، ووضع الربان محتويات كل جيب من جيبي الحزام فوق فراش مستقل.. وعندما انتهيا من إحصاء النقود قال الربان:

– إن بهما ثمانية عشر ألف وسبعمائة وخمسين ريالا.. فهل هذه النقود لك يا سيدتي؟

فقالت المرأة بتردد: إنها نقودي..

– ومن أين لك بها؟

– ليس هذا من شأنك يا سيدي..

فقطب الربان حاجبيه.. ثم سأل:

– وكيف ابتل هذا الحزام أيضًا؟

ولكنها لم تجب.. وعندئذ قال الربان:

– إذن يؤسفني أن أخبرك أنني سأصادر هذه النقود مقابل إيصال..

وأسرع ميسون يضع يده فوق فمها ونهاها عن الكلام بينما تهيأ الربان ومساعده للانصراف.. وقال الأول:

– إنني أبذل قصارى جهدي للعثور على زوجي يا سيدتي.

الفصل السادس

وفي صباح يوم الاثنين تهادت الباخرة فوق صفحة الماء في طريقها إلى المرفأ بينما انهمك ممثلو العمدة مع ضباط الباخرة في مداولات غامضة. وكان ركاب الباخرة لا يعرفون عما حدث إلا شائعات لا تغني.

والتقى روى هنجر فورد بميسون.. فقال له:

– أصغ إلي يا مستر ميسون.. إنني لا أعرف ما معنى هذا كله، ولكني أريد أن أحدد موقفي.. إن مسز نيوبري سيدة لطيفة، وإني لا أصدق أنها قتلت زوجها، ثم إن بيل درة نادرة بين الفتيات.

فأومأ ميسون برأسه وأردف هنجر فورد:

– ألا تستطيع أن تجعل الربان يكف عن تصرفاته السخيفة؟

فقاطعه ميسون:

– كلا ما دام الموقف على حالته الراهنة.. فقد سمعت أن هناك شاهدا قرر أنه رأى مستر نيوبري وزوجته معًا على سطح الباخرة قبل الساعة التاسعة بقليل. ولكن الضباط يلتزمون السرية التامة من هذه الناحية.

– إن في استطاعتي أن أخبرك باسم هذا الشاهد.. إنه أيلين فيل.

– أتعني المدرسة ذات العوينات؟

– نعم.. وهي من مدينة سانتا باربيتو، وفي عطلة مدتها ستة شهور، لأنها

تعاني انهيارًا عصبيًا فيما أعلم.. فقد سمعت من زميلتها في المقصورة أنها تعاني نوبات هستيرية وأن الطبيب يعالجها بالمخدرات. وأما أنا فأعتقد أنها مخبولة.

– أظن أنها في حوالي الخامسة والثلاثين من عمرها.. ذات عينين غريبتي الشكل؟

– إنها تدعى أنها في الحادية والعشرين من عمرها، وكثيرًا ما تسير على ظهر الباخرة بمفردها.

– لقد رأيتها عدة مرات، ولاحظت أنها تنتعل حذاء بغير كعب وترتدي ثوبًا قصيرًا.

– نعم، لقد أقسمت اللعينة أنها كانت تقف أسفل الجزء المسقوف من سطح الباخرة مرتدية معطف المطر الغامق اللون ..وفتح الباب وخرج منه مستر ومسز نيوبري، ومرا بها دون أن يرياها، ولم تكن المسافة بينها وبينهما أكثر من أربعة أقدام فسمعت مستر نيوبري يقول لزوجته أنه سوف يعالج الأمور على طريقته الخاصة، ويأمرها بالكف عن التدخل في شئونه ثم انطلق إلى سطح القوارب، فتبعته زوجته فركلها بقدمه، فصرخت فصاح بها يأمرها بالابتعاد، ولكنها صعدت في أثره، وبعد قليل سمعت إيلين فيل صوت عراك فوق السطح العلوي فارتقت الدرج إلى سطح القوارب، وسمعا صوت طلقة مسدس وهي ترتقي الدرج فلما صعدت إلى السطح رأت مسز نيوبري مائلة فوق جثة زوجها.. ثم لم تلبث أن جذبتها نحو الحاجز، وفي هذا الوقت مالت الباخرة بشدة على جانبها! فاختل توازن إيلين فيل وخيل إليها إنها سقطت في الماء. وظنت أنها سمعت صوت طلق آخر، فبدأت تصرخ.. وبعد أن

نهضت من سقطتها رأت مسز نيوبري تركض فوق السطح بينما اختفت جثة مستر نيوبري.

– عجبًا.. لا نزاع في أن سطح الباخرة كان معتمًا.. فليس في استطاعتها..

– هذا هو الأمر المضحك.. فإن إيلين فيل تقسم أن ضوءًا كان ينبعث من غرفة المستشفى، وأن باب هذه الغرفة كان مفتوحًا. ولكني لا أصدق قول هذه الفتاة بعد أن عرفت أنها مخبولة. ومع ذلك فقد بدأ الربان عملية تفتيش غرفة مسز نيوبري على هدى أقوال الفتاة وأنت تدري كيف تحرج الموقف بعد ذلك.

– هذا أمر مؤسف.. ترى هل حصلا على عنوانها؟

– نعم حصلت عليه من زميلتها في المقصورة وإليك هو.. وقدم إليه رقعة من الورق..

– حسنًا.. سأذهب الآن لأتحدث مع مسز نيوبري.

ولم يمانع الربان في التصريح لميسون بمقابلة عميلته مسز نيوبري.. وكانت علامات الإجهاد بادية على وجه المرأة، فجلس ميسون بجوارها وقال لها بعطف:

– سنرسو بعد نصف ساعة.. فهل أنت على استعداد؟

– بكل تأكيد.

– سوف يقبض البوليس عليك ويحاول الصحفيون استدراجك إلى الحديث، فاحذري أن تنبسي ببنت شفة.

فوعدته بذلك.. وعندئذ أخذ ميسون يفضي إليها بالقصة التي سمعها من روي هنجر فورد.. فصاحت مسز نيوبري في غضب وترفع:

– يا لها من كاذبة.. لقد ذكرت لك الحقيقة.. أما فيما يتعلق بحزام النقود فقد أعطاه لي زوجي عندما صعدت خلفه إلى سطح القوارب لأناشده أن يصارحني بالحقيقة من أجل بيل، ولكنه نصحني بالبقاء في المقصورة ريثما يعود. فلما حاولت أن أرغمه على العودة معي حاول أن يضربني، فغضبت وعدت إلى المقصورة فاستبدلت ثوبي.

– وكيف غادرت سطح القوارب؟

– هبطت الدرج الذي في مقدم الباخرة ولم أقابل أحدًا في تلك الأثناء.

– إذن لماذا قلت للربان إنك لم تصعدي إلى سطح الباخرة؟

– لأنني كنت أعتقد أن كارل ألقى بنفسه في الماء ولم أرد أن أقحم في ذلك.

– أتعنين أنك عندما تركته كنت تظنين أنه...

– لا تكن أحمقا! عندما عدت إلى مقصورتي وسمعت الصفير المتقطع أيقنت أن شخصًا سقط في الماء وأدركت من يكون هذا الشخص، فأسرعت استبدل ثيابي وأخفي الحزام لأنني توقعت حدوث ما حدث.

– هل تذكرين أنك رأيت ضوءًا ينبعث من غرفة المستشفى؟

– كلا.. لقد كان سطح الباخرة مظلمًا.

– إذن أصغى إلي باهتمام.. لقد ذكرت للربان معلومات مغايرة تمامًا لما

تقولينه الآن.. ولكنك مرغمة على ذكر الحقيقة، وأظنك تدركين وأظنك تدركين ما سيكون لذلك من تأثير سيء على الرأي العام، فخير لك أن تصارحيني بالحقيقة السافرة.

لقد قالت عاملة التليفون أن امرأة اتصلت بها من قاعة الجلوس وطلبت إليها أن تبلغ المسئولين على سطح الباخرة أن رجلاً سقط في الماء، ثم قطعت الحديث بغير أن تزيد على ذلك شيئًا.. فهل كنت أنت تلك المرأة؟

– أصغي إلي مرة أخرى.. إن أمامك دفاعين.. أولهما أن مناقشة حامية حدثت بينك وبين زوجك فحاول أن يضربك فعدت إلى مقصورتك، وعندئذ برز شخص آخر من المستشفى وأطلق النار على زوجك.. لقد كان في استطاعتك أن تلجئ إلى هذا الدفاع لو لم تكذبي على الربان وتحاولي إخفاء حزام النقود.. وأمامك دفاعك الثاني فهو أن زوجك أطلق الرصاص على نفسه، وبعد أن أعطاك حزام النقود ألقى بنفسه في الماء، ولكنك لن تستطيعي الاستعانة بهذا الدفاع إلا إذا برهنت على كذب قصة إيلين فيل.. ومن ثم فإنني لن أدعك تتخبطين في أقوالك إلا بعد أن أعلم أمرين.. أولهما هل ستنهار قصة إيلين فيل عند الاستجواب أم لا.. والآخر هو السبب الذي يحملك على الكذب على حين تقولين إنك لم تتكلمي مع عاملة التليفون.

فعادت تؤكد له أنها لم تتحدث مع عاملة التليفون. فقال لها أنها لن تستطيع أن تفضي إلى الضابط بقصتها بغير أن تخبرهم بالسبب الذي حاولت من أجله أن تحصل على النقود. وإنها لن تستطيع أن تفعل ذلك بغير أن تقرر أن زوجها هو كارل موار، وإنها كانت تظن أنه اختلس النقود.. فقالت

إن ذلك سوف يفتضح على كل حال. فقال لها إنه سيبذل قصارى جهد لتظل هذه الحقيقة في طي الكتمان ولو لعدة ساعات ريثما يتصل بشركة المنتجات الصناعية لأنه يعتقد أن أمرًا غريبًا يحف بحادث الاختلاس وخاصة أنه سمع أن مستر روني لا يحتفظ بوظيفته في الشركة إلا لأنه قريب مديرها. وإنه يعتقد أن الرجل غير كفء في عمله، وإن حصر مسئولية الاختلاس لن يكون عملاً هينًا.. فإذا علم روني أن موار قد مات فسوف يتهمه بالاختلاس علنًا ومن المحتمل أن يلجأ إلى أن أحداث تغيير في السجلات لتعزيز الاتهام.. ولهذا فإنه (أي ميسون) سيحاول أن يكتشف إن كان هناك شيء غير مشروع هو الذي جعل الشركة لا توجه الاتهام إلى وار حتى تلك اللحظة قبل أن يذاع نبأ موت زوجها.

فقالت شاكرة:

– افعل ما تشاء بشرط أن تحمي بيل وتساعدها..

ومضى ميسون بعد ذلك إلى غرفة بيل نيوبري فوجدها مع سكرتيرته فقال للأخيرة:

– أريد منك يا ديللا أن تحاولي معرفة اسم الشخص الذي بعث لمستر نيوبري بالرسالة أثناء العشاء.. فقد قال الصبي إنه حصل عليها من ضباط الاستعلامات، ويقول هذا إنه كان منهمكًا في عمله عندما حانت منه التفاتة إلى النافذة فرأى الرسالة موضوعة فوق حافتها وقد كتب على الغلاف "أرجو إرسالها فورًا إلى كارل نيوبري" فاستدعى الصبي وأمره بإيصال الرسالة إلى صاحبها.

فقالت بيل:

– لقد كانت الرسالة تحتوي على ثلاث كلمات مكتوبة بالقلم الرصاص بخط يغلب على ظني أنه نسائي وهي "يسار السفينة.. حسن" ولم يكن هناك توقيع.

– لا بأس من أن تصرحي بذلك للمحققين ولكن حذار أن تذكري لهم شيئًا عن ماضي حياتك، ويحسن أن تغيري طريقة تصفيف شعرك فإنك تبدين شديدة الشبه بويني جويس وقد يكتشف المحققون الحقيقة من هذا التشابه.

الفصل السابع

كان بول دريك مدير مكتب دريك للأبحاث السرية في انتظار ميسون بالميناء. فلما هبط من الباخرة قادة دريك إلى سيارة كان قد أعدها لانتظاره. فصاح ميسون بالسائق أن يذهب إلى المطار بغير إبطاء.. ثم قال لدريك:

– أخبرني.. ماذا عرفت عن شركة المنتجات الصناعية؟

فأخرج دريك مفكرة من جيبه.. وقال وهو يقلب صفحاتها:

– يوجد عجز في أموالها يقدر بخمسة وعشرين ألف ريال.. وقد اكتشف كبير المراجعين س. دنتون روني هذا العجز بعد اختفاء كارل موار بيومين واتهمه به، وطالب الشركة باستصدار أمر بالقبض عليه فورًا، ولكن المحامي الذي يتولى قضايا الشركة رأي أن هناك ما يدعو للريبة في الأمر فرفض إبلا غ الأمر للبوليس. واضطرت الشركة إلى استخدام مرجعين غرباء لفحص سجلات الحسابات ثم عهدت إلى مكتب للأبحاث السرية الخاصة بالبحث عن موار ولكنه فشل في ذلك حتى الآن.

إنني لم أقابل روني، ولكني تحدثت مع جاكسون الذي اتصل بروني فلم يظفر منه بطائل. وقد قال لي جاكسون إنه مقت الرجل بعد مقابلته وإنه لا يصلح لعمله مع أنه يتقاضى عليه أجرًا قدره أربعمائة وستون ريالاً شهريًا، وما ذلك إلا لأنه عديل مدير الشركة، وقد عرفنا أن زوجة روني تعامله بشدة متناهية على الرغم من أنه يمثل دور الدكتاتور في الشركة.

– وهل حصلت على معلومات أخرى عنه؟

– نعم.. عرفنا أنه يبتاع زهورًا لفتاة شقراء اسمها مارجي ترنتون تقيم في الشقة رقم ١٤ ب بالمنزل رقم ٣٦١٨ ببنوار دريف.. وقد عهدت إلى أحد رجالي بمراقبتها ولكن المراقبة لم تسفر عن شيء ذي بال، إلا أننا استطعنا الحصول على صورتها وهي تأخذ حمام شمس على الشاطئ.

فتأمل ميسون الصورة التي قدمها له دريك ثم قال:

– إنها فتاة فاتنة.

وتأملتها ديللا بدورها.. ثم قالت:

– إنها جميلة ولكن يبدو من ثوب استحمامها إنها أرادت اجتذاب الأنظار إليها.. ثم انظر إلى ساعتها اليدوية.

وتأمل ميسون الساعة ثم سأل:

– هل عرفت شيئًا مشينا عنها يا دريك؟

– كلا.. لكن يحتمل أن أعرف ذلك قريبًا.. لماذا تسأل؟

– سوف نعتمد على هذه الساعة اليدوية في الحيلة التي سنلجأ إليها، فإنه مما يهمني أن أوقف روني في مركز حرج حتى أرغمه على الصمت عن حادث الاختلاس.

– في استطاعتي أن أخبرك بأمر هام. أن لشركة المنتجات الصناعية وشركتين أخريين إدارة مشتركة وهي تتبادل الحسابات.. ويبدو أن هناك أعمالاً غير مشروعة تجري في هذه الشركات الغرض منها التخلص من ضريبة

الدخل، ويخيل لي أن هناك أحد المحامين وراء هذه العمليات غير المشروعة.

– هذا بديع.. لقد وقعنا إذن على سر خطير سوف استخدمه ضد الشركة إذا حاولت إعلان نبأ اختلاس موار لنقودها.

– عليك أن تحصل على الأدلة قبل أن تتمكن من استخدام هذا السلاح.

– سوف نحصل عليها من روبي أن طوعًا أو كرهًا. وسأتخذ من الساعة اليدوية وسيلة لبلوغ مأربي.

ومضى ميسون يروي لدريك تفاصيل القضية وما حدث على ظهر الباخرة.

الفصل الثامن

أوقف دريك السيارة أمام منزل مارجي ترنتون.. فقال له ميسون.

– هل أنت واثق من المعلومات التي حصلت عليها عن ساعة الفتاة اليدوية؟

– نعم.. فإن مساعدي يؤكد إنها حصلت عليها منذ ستة أسابيع. ولكننا لم نستطع معرفة اسم المحل الذي ابتاعتها منه.

وتقدم ميسون من بواب المنزل وطلب إليه أن يتصل بالآنسة مارجي تليفونيًا ويبلغها أن شخصًا اسمه مستر دريك يريد الاتصال بها بغير إبطاء لأمر هام.

وعندما اتصل البواب بالفتاة وأخبرها بأن رجلين أحدهما يدعي مستر دريك يريدان مقابلتها لأمر هام، طلبت إليه أن يستفسر منهما عن سبب المقابلة.. فقال ميسون: إنهما يريدان مقابلتها لشأن يتعلق بمجوهراتها وأن الأمر خاص وهام.. فسمحت الفتاة لهما بالصعود..

وصعد ميسون ودريك إلى شقة الفتاة وطرق الأول الباب، ففتح قليلاً وظهرت خلفه فتاة ذات عينين زرقاوين وشعر أشقر، جميلة التقاطيع متناسقة القوام، ترتدي (روبا) من الحرير الشفاف..

قالت: لست أعرف من أنتما.. فماذا تريدان؟

فسألها ميسون:

– هل تريدين منا أن نتكلم في الدهليز.. حسن.. دعيني أقدم إليك مستر بول دريك.. لقد كانت زوجته تملك ساعة يدوية مصنوعة من البلاتين، وقد سرقت هذه الساعة، وهي في حوزتك الآن، وقد جئنا لنتحدث إليك في هذا الشأن.. فهل تريدين أن نتحدث في الأمر بهدوء أم علانية؟

وبدا الفزع في عيني الفتاة.. ففتحت الباب وسمحت للرجلين بالدخول..

ثم سألت:

– هل أنتما من رجال البوليس؟

– دعينا من ذلك واسمحي لنا أن نلقي نظرة على الساعة اليدوية؟

فبدت الريبة في عيني الفتاة وأجابت بالرفض.. ثم اتهمتهما بالاحتيال.. فتظاهر ميسون بأنه يتقدم من التليفون وقال:

– إذن لا بأس عليك من الاتصال بالبوليس.. لقد كنت أحسب أننا سنحسم الموقف فيما بيننا ولكن يبدو أنه من الأفضل أن يتم لك رسميًا.

فقالت: إنكما لن تستطيعا إيذائي ولو كانت الساعة هي المسروقة.

فمضى ميسون يصف لها الساعة بالدقة.. فأصفر لونها وقالت:

– صحيح أن هذه هي الساعة التي أملكها، ولكن ذلك لا يعني أنها مسروقة.. لقد أهداها لي أحد أصدقائي، وهو رجل ثري يعمل في شركة محترمة فيحسن أن أتصل به تليفونيًا لنحسم الموقف.

– إذن عليك أن تتصلي بي تليفونيًا وتطلبي إليه الحضور إلى هنا بغير إبطاء لأمر هام.. ولكن لا تخبريه بوجودنا هنا ولا بحقيقة مهمتنا.

واتصلت الفتاة بروني تليفونيًا وطلبت إليه الحضور على عجل لأمر هام.. وجلس الجميع في انتظار قدوم مستر روني.

وفجأة سمعوا صوت مفتاح يوضع في قفل الباب الخارجي. وبعد لحظات فتح باب الغرفة التي كانوا يجلسون بها، ودخل منه رجل في أواخر العقد الخامس من عمره ذو شارب صغير.. ولم يكد يرى ميسون وزميله حتى تراجع مبهوتًا.. فقال ميسون:

– أدخل يا روني وأغلق الباب خلفك.

فشد روني قامته بكبرياء.. وسأل مارجوري ترنتون:

– ما معنى هذا؟ ولماذا لم تخبريني بأن هذين الرجلين هنا؟. ومن هما و..

فقاطعه دريك:

– كفى.. فما جئنا إلا لنجنبك الأذى والفضيحة.

فبدأ البرود والحذر على وجه روني وسأل:

– ماذا تقصد بقولك هذا؟

– إن الساعة التي أهديتها للآنسة مسروقة من زوجتي، وما جئت إلا لأعرف كيف اتفق أنك تبتاع أشياء مسروقة.

فقال روني:

– إنك مجنون بغير شك, ولكن يبدو أن هناك غرضًا آخر وراء هذا الموقف..

ثم تحول إلى الفتاة قائلاً:

– يخيل إلى أن هذين الرجلين يحاولان أن يظفرا منك بشيء معين، وأغلب ظني أنهما محتالان فيحسن استدعاء البوليس.

ولم يمانع ميسون.. فألقت الفتاة نظرة تحذير على روني وقالت:

– لقد أرادا الاتصال بالبوليس ولكني حسبت أنه من الأفضل تجنب الفضيحة.

فجلس روني وقال:

– من الواضح أن هناك خطأ.. فقد ابتعت هذه الساعة من حانوت كونتزوكتر ودفعت ألف وثلاثمائة وخمسين ريالاً ثمنًا لها.

فتثاءب ميسون.. وتدخل دريك في الحديث قائلاً:

– ليس أمامنا غير سبيل واحد، هو أن نذهب إلى الحانوت الذي ابتعت الساعة منه، فمن المحتمل أن اللص باعها للحانوت، ثم اشتريتها أنت بعد ذلك بحسن نية.

وأمنت الفتاة على قول دريك.. ونهضت فارتدت ثيابها، ثم استقلوا سيارة مضت بهم إلى حانوت الجوهري.

وكان آرثر ب. كتر. موجودًا في مكتبه، فرحب بروني والفتاة ثم أحنى رأسه لميسون ودريك.. فقال ميسون:

– لقد جئنا لنعرف أن كان مستر روني قد اشترى من حانوتكم ساعة يدوية أم لا..

فقال كتر:

– لقد ابتاع مستر روني جواهر كثيرة من حانوتنا. وربما..

فقال روني:

– قدمي له الساعة يا مارجي..

فأبرزت الفتاة الساعة للجوهري، فتطلع إليها ثم قال:

لقد ابتاعها مستر روني من هذا الحانوت منذ حوالي ستة أسابيع.

فقال روني بلهجة المنتصر:

– يصر هذان الرجلان على أن هذه الساعة مسروقة.. فما رأيك؟

فرمى الجوهري ميسون ودريك بنظرة قاسية، ثم التقط سماعة التليفون وهو يقول:

– سوف نرى.. سأتصل بالبوليس وأبلغه الأمر، وسوف تحسم الأمر بغير جلبة أو ضوضاء.

وبعد أن اتصل بإدارة البوليس وأبلغها أن بحانوته رجلين محتالين طلب إرسال سيارة وحرس للقبض عليهما.

وابتسم ميسون وجلس.. ثم أشار إلى دريك بالجلوس بينما راح الجوهري يعتذر لروني عما سببه له المحتالان من عناء.وبعد قليل فتح باب المكتب ودخل منه ضابطان تقدما من مكتب مستر كتر.

وأشار مستر كتر إلى ميسون وزميله، فانثنى الضابطان إليهما، وتقدم أحدهما منهما ثم توقف وهتف:

– يا إلهي! هذا مستر بيري ميسون.

وأومأ ميسون برأسه وقال:

– طاب يومكما أيها السيدان.

واستدار الضابط إلى مستر كتر وقد ارتسمت في عينيه نظرة تنطوي على القلق وسأله:

– لعلك سمعت عن بيري ميسون المحامي المعروف؟

فقال المدير ببرود:

– هذا لا يهمني.. فقد حاول أن يحتال على أحد عملائي.

– هل تريد أن توجه إليه هذا الاتهام؟

– ولم لا؟ لقد أدعى أن مستر روني اشترى منا ساعة مسروقة.

– لا أظن أن مدير البوليس يوافقك على رأيك..

فقطب مستر كتر حاجبيه وقال:

– هل لمستر ميسون إذن أن يوضح لنا سبب تصرفه؟

– إن المسألة كلها لا تعدو مجرد الرغبة في التأكد من مصدر ساعة يدوية، فيحسن أن تراجع رقم الساعة خشية أن يكون في الأمر لبس.

فدق مستر كتر الجرس، فلما أقبلت سكرتيرته طلب إليها أن توافيه

ببطاقة حساب مستر روني، فأسرعت وأحضرتها.. وبعد أن تأمل الرجل البطاقة قال:

– إن الأرقام صحيحة.

فقال ميسون وهو يلتقط بطاقة الحساب:

– يبدو أن هناك خطأ ما.

وتأمل ميسون البطاقة طويلاً ثم انثنى إلى الفتاة وقال:

– هل تعلمين أن صديقك متزوج يا آنسة؟

فوثب روني من مقعده وهو يصيح:

– لست أرى ما..

فقاطعه ميسون وهو يرميه بنظرة باردة:

– لقد ابتعت مجوهرات بأربعة وستمائة واثنين وخمسين ريالاً وخمسة وعشرين سنتا خلال الشهرين الأخيرين من هذا الحانوت فقط. فهل لك أن تخبرنا يا مستر روني من أين لك المال الذي دفعته ثمنًا لهذه الجواهر؟

وهنا وثب كتر واقفًا وحاول أن يختطف البطاقة من يد ميسون ولكنه فشل، فصاح:

– اقبضوا على هذا الرجل فأنا لا يعنيني من يكون..

فابتسم ميسون وأشار إلى الضابطين قائلاً: انظرا إلى روني.

وكان روني قد تهالك فوق أحد المقاعد وقد أبيض لونه..

وقال ميسون: إنك كبير مراجعي شركة المنتجات الصناعية يا روني. ومرتبك الشهري من هذه الشركة هو أربعمائة وستون ريالاً.. ومنذ شهرين أو ثلاثة كان كارل موار يعمل محاسبًا في هذه الشركة ولكنه اختفى بطريقة غامضة وعندئذ أبلغت إدارة الشركة أن هناك اختلاسًا، فقد كنت تعلم أن هذا الاختلاس سيظهر حتمًا في أحد الأيام بعد اختفاء موار. فهل تتكرم بإبلاغ هذين الضابطين كيف استطعت أن تبتاع جواهر بحوالي خمسة آلاف ريال بينما مرتبك هو أربعمائة وستون ريالاً في الشهر؟

فأتى روني بحركة تدل على اليأس وقال:

– حسنًا.. لقد انتصرت علي.

– منذ متى والاختلاس مستمر؟

فقال روني بصوت خافت:

– إني قريب مستر ديل مدير الشركة فلو عرف بالأمر لأساء إلى أبلاغ الإساءة ومن ثم فإني أعدك بأن أجعله يرد ما أخذته درءًا للفضيحة..

– ومن سيكون الضحية؟

– موار بالطبع. فقد مات الرجل قتيلاً ليلة أمس على ظهر أحد البواخر...

– هل أنت واثق من ذلك؟

– بالطبع. فقد كان مستر ديل وابنته مسافرين على ظهر الباخرة نفسها وارتابت سيلندا في ابنة زوجة موار فبعثت إلي ببرقية تطالبني فيها بجمع كافة

المعلومات المستطاعة عن بيل نيوبري. وسرعان ما عرفت كل شيء.

– وهل أبلغت سيلندا؟

– نعم.. وقد اتصلت بي تليفونيا صباح اليوم وأبلغتني بما حدث. قالت أن مسز نيوبري قتلت زوجها ليلة أمس.. ومن ثم فإني أرى أنه يحسن بنا تصفية الموقف بهدوء تجنبًا للفضيحة.

– كلا يا روني.. وعندما تقابل مستر ديل قل له أن بيري ميسون له بالمرصاد.

الفصل التاسع

على أثر انصراف ميسون ودريك من حانوت الجوهري استقلا سيارة إلى مكتب ميسون وكان دريك بادي الاضطراب من فرط ما عاني من تطورات الموقف بينهما وبين روني. وكانت ديللا ستريت جالسة بجانب التليفون فسألت ميسون عما حدث..

فقال: لقد اعترف روني بالحقيقة.. اعترف بأنه مختلس النقود.. ما وراءك؟

فقالت الفتاة: إن البوليس يحتجز الآنسة نيوبري في سان فرانسيسكو بغير أن يوجه إليها أي اتهام.. ويحتجز أمها لاحتمال أن تكون قاتلة. وقد عثروا على مسدس عيار ٣٨ على سطح القوارب بالباخرة، وقد أطلقت منه رصاصتان وتعرفوا على مسز نيوبري وكشفوا اسمها السابق ونشرت إحدى صحف المساء قصة الاختلاس.. إن مستر روي هنجر فورد في انتظارك بالداخل.

فجلس ميسون إلى مكتبه وهو يقول: ظننت أننا سنتمكن من إخفاء قصة الاختلاس ولكن يبدو إننا تأخرنا قليلاً.. ماذا يريد هنجر فورد؟

– لا أعلم.. فقد كان لدي عمل كثير فلم أسأله عن سبب زيارته.. وقد حجزت جناحًا في فندق بسان فرانسيسكو كما استأجرت طائرة خاصة..

– إذن حاولي أن تتصلي بمحقق القضية في سان فرانسيسكو فإني أريد أن أتحدث إليه.

– إن دونالد سوب ب. سكادر هو المحقق. وسأصلك به في الحال.

وطلب ميسون من دريك أن ينتظره في غرفة المكتب ومضى لمقابلة هنجر فورد فما كاد الشاب يراه حتى وثب واقفًا وشد على يده بحرارة. ثم قال:

– جئت لأتحدث إليك عن بيل.

– وماذا بشأنها؟

– لقد جئت بالطائرة.. ومنذ نصف ساعة اتصلت بسان فرانسيسكو تليفونياً وعلمت أن مستر نيوبري هو في الحقيقة مستر كارل موار الذي كان يعمل محاسبًا في شركة المنتجات الصناعية وإنه أختلس خمسة وعشرين ألف ريال من أموال الشركة كما صرح بذلك مستر تشارلس هويتمور ديل مدير الشركة لأحد مندوبي الصحف، وهو يعتقد أن النقود التي وجدت في الحزام هي ما تبقى من المبلغ المختلس من الشركة.

فأشعل ميسون لفافة تبغ وسأل:

– وهل تحدثت إلى بيل؟

– كلا.. فقد احتجزها البوليس في سان فرانسيسكو ولم يسمح لي بمقابلتها..

ثم قال: أخبرني يا مستر ميسون.. هل القصة التي نشرتها الصحف صحيحة؟

فأجاب ميسون بغير إبطاء: نعم..

فأطرق الشاب قليلاً ثم قال:

– أصغ إلي يا مستر ميسون.. إنني أحب بيل ولا يمكنني أن أتركها في هذا المأزق.. ثم أنها بريئة، فهي لم تكن تعلم شيئًا عن حادث الاختلاس.. أخبرني من الذي سيدفع لك أجرك يا مستر ميسون؟

ودهش ميسون لهذا السؤال.. ولكنه أجاب:

– مسز نيوبري.. ولو أننا لم نتحدث في ذلك الأمر..

– إذن فإنني على استعداد لبذل المعونة لأنني أحب بيل حبًا جنونيًا وأريد أن أتزوجها.

فصاح ميسون: وهل يتزوج ابن مليونير من ابنة مجرم؟

– إنها ليست ابنته.. لقد مات أبوها وكان رجلاً شريفًا.

– وماذا عسى أن يقول أبوك؟

– أرجو أن يقدر الموقف على حقيقته فإن لم يفعل كان ذلك آخر العهد بيننا.

– لا تتعجل في حكمك قبل أن تسأل بيل عن رأيها في الزواج.. فإن وافقت فسنتحدث في موضوع المساعدة التي تريد أن تبذلها لأمها.. ثم أن هناك مسألة قد تهمك معرفتها، تلك هي أنه ثبت لي أن كارل موار لم يختلس نقودًا من شركة المنتجات الصناعية..

– أحقًا..؟

– نعم.. ولكني لن أقرر هذه الحقيقة حتى أحصل على الدليل، ويومذاك سوف يدفع مستر تشارلس هويتمور ديل نفقات الدفاع عن مسز نيوبري وخاصة بعد أن تسرع فأفضى بقصة غير صحيحة للصحف عن الاختلاس المزعوم..

– إذن من أين أتى موار بكل هذا المال؟

– لا أعلم ذلك الآن وكل ما أعلمه أن المال الذي وجد في الحزام كان ماله الخاص.

لا شك في أن هذه المعلومات هامة.

– لا تنس أن أم بيل متهمة بجريمة قتل وأن الأدلة ضدها كثيرة..

وفتح الباب في تلك اللحظة وأطلت ديللا ستريت برأسها من ورائه لتعلن أن محقق القضية على الطرف الآخر من التليفون فطلب ميسون أن تصله به..

وفي تلك اللحظة قال روي:

– لقد اكتشفت شيئًا.. لقد كانت الرسالة التي تلقاها مستر موار قبل أن يغادر مائدة العشاء مرسلة من الآنسة إيفيلين هوايتنج وهي ممرضة كانت ترافق رجلاً مكسور العنق.

وسمع ميسون صوت مستر سكادر يقول: أهذا أنت يا مستر ميسون؟

– نعم.. أني أريد إجراء تحقيق مبدئي في القضية..

– كما تشاء يا مستر ميسون، على أنه يجدر بي أن أقول لك أن صحف سان فرانسيسكو نشرت قصة مؤداها أن مستر موار اختلس خمسة وعشرين

ألف ريال من شركة المنتجات الصناعية التي كان يعمل بها وأن النقود التي عثر عليها الربان بالحزام ليست سوى جزء من هذا المبلغ المختلس وأن مسز موار جردت زوجها من هذا الحزام قبل أن تلقى بجثته في الماء..

– مهما يكن، فإني أريد إجراء تحقيق تمهيدي وسأطير إلى سان فرانسيسكو لهذا الغرض وأتقدم بطلب للإفراج عن ابنتها التي يحتجزها البوليس بغير اتهام.

ولما انتهت المحادثة.. التفت ميسون إلى روي وسأله:

– وكيف عرفت بأمر هذه الرسالة؟

– لقد رأى أحد الخدم الآنسة هوايتنج وهي تضع الرسالة حيث وجدها ضابط الاستعلامات فقطب ميسون حاجبيه. وسأل: وهل ذكر الخادم شيئًا عن الثياب التي كانت ترتديها؟

– كلا.. فقط قال أنه واثق من أنها هي التي وضعت الرسالة في هذا المكان.. واسم هذا الخادم فرنك بيفن، ولا أظن أنه ذكر شيئًا من ذلك لضابط الباخرة. فقد قال لي أنه لا يريد أن يحتك بأحد منهم.. ولكنه أبلغني هذه الأنباء حين نقدته خمسين ريالاً.

– وهل يقبل الرجل أن يدلي بهذه الشهادة أمام المحكمة؟

– لا أعلم.. وثم أمر آخر وهو أن الفتاة قبل أن تردد الآن قصة تغاير قصتها الأولى، فهي تدعى أنها رأت مسز نيوبري وهي تطلق النار على زوجها وتقذفه في الماء.

– إنها تحول القصة كما أكثرت من ترديدها..

ورفع ميسون سماعة التليفون وقال لسكرتيرته:

– قولي لدريك أن يتصل بمراسله في هونولولو ويطلب إليه أن يجمع له كل المعلومات الممكنة عن إيفيلين هوايتنج الممرضة التي جاءت معنا بالباخرة. واطلبي إليه أن يرسل أحد رجاله ليقابل أيدا جونسون زميلة إيلين فيل في المقصورة ويحصل منها على شهادة كتابية.. وقولي لبول أن يحصل على صورة فوتوغرافية لإيلين فيل وهي في ثوب السهرة.. ويمكنه أن يحصل على هذه الصورة بأن يوعز إلى أحد الساسة بإقامة حفلة تدعى إليها إيلين وعندئذ يمكن لدريك أن يلعب دور مصور صحفي ويلتقط صورة للحاضرين وهي بينهم.

وأعاد ميسون السماعة إلى مكانها.. ونهض واقفًا إيذانًا بانتهاء المقابلة بينه وبين روي هنجر فورد..

الفصل العاشر

في صباح اليوم التالي اتخذ ميسون لنفسه مكتبًا مؤقتًا في الفندق الذي نزل به في سان فرانسيسكو.. وجلس يملي على سكرتيرته طلبًا بالإفراج عن بيل نيوبري. ودق جرس التليفون فالتقطت ديللا السماعة وبعد أن أصغت إلى المتحدث ابتسمت وقالت لميسون:

– إن مستر تشارلس هويتمور ديل موجود في ردهة الفندق..

وبينما كان ميسون في انتظار مستر ديل، أقبل دريك وقال:

– لقد حصلت على تقرير إيفيلين هوايتنج، فهي ممرضة مسجلة متزوجة ثم طلقت. فاستأنفت حياتها تحت اسمها الأول.. ومع أن لها آراء خاصة في الرجال إلا أنه يخيل إلي أنها لا تمقتهم بصفة عامة وإن كانت تمقت الزواج.

– وماذا أيضًا؟

– فعندما عرض موار الزواج عليها رفضت ذلك وإن قبلت صداقته، وكانت نتيجة الرفض أن أصيب بصدمة نفسية عظيمة بينما راحت هي تتردد على النوادي الليلية.

– ومن أين لك هذه المعلومات يا دريك؟

– إن لها أختًا هنا في سان فرانسيسكو اسمها ماريون هوايتنج وتقيم في عمارات ويفكرست. وقد تحدث إليها رجالي وقرروا أنها كانت شديدة

الانفعال لاتهام مسز موار بارتكاب جريمة قتل وتساءلت عما عسى أن تقوله أختها في ذلك.

فحدق ميسون في وجه دريك.. وهتف:

– ماذا تقول؟

فرفع دريك حاجبيه وقال:

– تساءلت عما عسى أن تقوله أختها في ذلك حين تسمع به.

– مهلاً لحظة فإن ما تقول ليس منطقيًا.. أليست أختها في سان فرانسيسكو؟

فتطلع دريك إلى مفكرته وأجاب:

– آه.. فهمت.. وقد يكون لذلك أهميته.. هل تريد مني أن أطلب من رجالي أن يوالوا البحث؟

– كلا.. فإني أريد التفكير في الأمر فقد أعالج الأمر بنفسي. على أن هناك مسألة أخرى تحيرني وتلك هي أنه قبل أن تغادر الباخرة هونولولو مباشرة حطم مجهول حقيبة ثياب موار وسرق صور بيل نيوبري الفوتوغرافية واستبدل بها صورة ويني جويس، ولا نزاع في أن الفكرة الكامنة وراء ذلك هي أن السارق أراد أن يخفي صورة بيل نيوبري ولو مؤقتًا، ومن الواضح أن الشبه بين الفتاتين عظيم لأن الصورة التي وضعت مكان الصورة الأصلية تشبهها تمام الشبه.

– لا أظنك تعني أن لويني جويس أصبحا في الموقف.

– كلا بالطبع.. ومع ذلك فأنا لا أستطيع أن أجد رابطة بين سرقة هذه الصورة وجريمة القتل التي وقعت، وفي رأيي أنه يجب بذل شيء من العناية لهذا الموضوع فأبرق إلى وكلائك بهونولولو للبحث واستقصاء الأنباء.

فانصرف دريك.. وعندئذ فتح باب الغرفة الأخرى، وأعلنت ديللا قدوم مستر ديل. ودخل مدير شركة المنتجات الصناعية وكان بادي الاضطراب، فحيا المحامي وقال:

– يبدو أنني وضعت نفسي في مركز لا أحسد عليه.

ودعاه ميسون للجلوس.. فشكره وجلس.. ثم افتتح الحديث قائلاً:

– أكبر الظن أنك تعلم لماذا جئت لمقابلتك يا مستر ميسون، وإني لأعترف لك في غير حياء بأنك انتصرت علي انتصارًا ساحقًا، ومع كل فإني أعتقد أنك تلتمس لي عذرًا في سوء ظني بمورا.

فأشعل ميسون لفافة تبغ وقال:

– كان ينبغي أن تتريث حتى تستوثق من الحقيقة.

– لقد أساءت الظروف كلها إلى موار.. وزاد الطين بله إنه كان يسافر متنكرًا تحت اسم مستعار على نفس الباخرة التي كنت أسافر عليها.

فابتسم ميسون ساخرًا ثم قال:

– أظن أن اتهام موار ليس الغرض الرئيسي من زيارتك هذه.

– أصبت.. إني أعترف بأنني في موقف حرج، ولكني على استعداد للتعويض.

فقال ميسون ساخرًا:

– لا أظن أن مسز نيوبري سترضى بأقل من مقاضاتك.

– ولكني لم أتهمها بشيء.. فقد اتهمت زوجها، وهو رجل ميت.

– لقد قلت أن النقود التي وجدت في حوزتها هي النقود المختلسة من الشركة، وقد اتضح الآن أن قريبك هو المسئول عن الاختلاس وأن موار كان بريئًا.

وسقط في يد كستر ديل.. وقال أنه اتخذ الإجراءات اللازمة لإعادة النقود المختلسة.. ثم عرض مبلغ خمسة آلاف ريال تعويضًا لمسز نيوبري، ولكن ميسون رفض ذلك وأصر على أن يدفع مستر ديل عشرة آلاف ريال يستولى هو على نصفها كأجر له على الدفاع عن المتهمة، وتستولى مسز نيوبري على النصف الآخر كتعويض.

ولم يجد ديل مفرًا من الإذعان.. ثم نهض منصرفًا. وعلى أثر انصرافه قالت ديللا:

– ألحق أني غير مرتاحة لتوليك الدفاع عن مسز نيوبري، فأنت لم تسمع من القصة إلا أحد جانبيها وهو الجانب الذي أفضت الزوجة به إليك، وكان من المحتم أن تسمع الجانب الآخر من القصة وهو جانب زوجها نفسه حتى تستطيع أن تقطع في أمر النقود التي وجدت في حوزة مسز نيوبري برأي، وهل كانت حقًا نقود الزوج أو نقود الزوجة، وإذا كانت نقود أحدهما فمن أين له أو لها بها؟.

وأدرك ميسون ما في قوله سكرتيرته من وجاهة.. ولكنه قال:

– إن ذلك لا يتفق واتهام الزوجة بقتل زوجها.. فإذا كانت النقود نقودها فلم يكن هناك سبب يحملها على قتله. وإن كانت نقوده فما أظن أن هناك أيضًا ما يحملها على قتله وهي تعلم أن أمرها قد يفتضح أن آجلاً أو عاجلاً.

ودق الجرس فالتقطت الفتاة السماعة. وبعد أن أصغت إلى المتكلم قالت لميسون:

– إن أوسكار يريد أن يقابلك؟

– أوسكار؟

فأومأت برأسها وقالت: إنه الخادم الذي كان يخدمنا في الباخرة.

– آه: إذن دعيه يأتي.

وبعد لحظات أدخلت ديللا الخادم. فحياه ميسون. ودعاه للجلوس.

وأفضى أوسكار لميسون بما لديه من أنباء.. فقال أنه في صباح اليوم التالي للحادث المشئوم صعد أحد البحارة إلى ظهر الباخرة فعثر على مسدس قدمه لضابط الباخرة الأولى.

ثم بحث أوسكار في جيوبه، وأخرج من أحدها ورقة مطوية نشرها وأخذ منها قطعة من الحرير الأزرق اللون وقال:

– لقد عثرت على هذه القطعة يا سيدي. ولما سألت ضابط الباخرة الأولى عن مدى أهميتها نفى أن لها أهمية على الإطلاق، ولكني احتفظت بها

ولا أدري لماذا.. ولما سمعت أنك تتولى الدفاع من مسز نيوبري عولت على أن أقدمها إليك.. لقد عثرت عليها مثبتة في حاجز سطح السفينة من الخارج يا سيدي.

فتأمل ميسون قطعة القماش ثم قال: يبدو أنها قطعة من ثوب نسائي..

وأومأ أوسكار برأسه..

– أشكرك على اهتمامك بقضيتي يا أوسكار وسوف أذكر لك هذا الصنيع.

ونهض أوسكار وصافحه ميسون مكررًا شكره.. وانصرف الرجل.

وقال ميسون لديللا:

– والآن... ما رأيك؟

– الحق أني لا أستطيع أن أعلل وجود قطعة القماش هذه خارج حاجز السفينة، ومع ذلك فإني أذكر أن إحدى راكبات الباخرة كانت ترتدي ثوبًا من هذا القماش..

والتقط ميسون مقصًا صغيرًا وقطع القماش إلى ثلاثة أقسام.وفي تلك اللحظة فتح باب الغرفة ودخل دريك. فقال له ميسون:

– إليك قطعة من القماش، أرجو أن تتولى البحث في هدوء عن صاحبه الرداء الذي انتزعت منه هذه القطعة بين راكبات الباخرة.

– حسن يا مستر ميسون.. إليك أنباء جديدة، بلغني أن هناك شاهدًا آخر ضد موكلتك.. ولكني لم أعرف بعد اسمه، كما أن محقق القضية نفسه

لا يزال يجهله ولكنه يجد في البحث عنه. فقد ثبت الإنذار بسقوط رجل في أليم لم يعط بواسطة إيلين فيل، لأن هذه الفتاة اكتفت بالصراخ.. بيد أن امرأة أخرى اتصلت بعاملة التليفون من قاعة الجلوس وطلبت إليها إبلاغ النبأ إلى المسئولين فلا ريب في أن المبلغة رأت نيوبري وهو يلقى في الماء لأنها قالت إنها رأته يدفع دفعًا.. وتقول عاملة التليفون أن في استطاعتها أن تتعرف على الصوت إذا سمعت مرة أخرى.

– إن أمر هذه الشاهدة لا يقلقني لأنني أعتقد أن المبلغة كانت مسز نيوبري نفسها..

– قالت عاملة التليفون إن محدثتها أبلغتها أن رجلاً ألقي في الماء. فإذا فرض أن عرفت العاملة صوت مسز موار وهي تؤدي الشهادة وأقسمت أنها هي المبالغة فماذا يكون الموقف؟

فقطب ميسون حاجبيه وقال: سيكون موقفًا سيئًا..

– ثم إنه ثبت أن المسدس الذي عثر عليه على ظهر الباخرة كان مسدس مستر موار. كما وجدت بصمات أصابع زوجته على ماسورة المسدس.

ودهش ميسون. وسأل:

– هل من شيء آخر؟

– نعم.. أن أخت إيفيلين هوايتنج موجودة الآن في منزلها.. ولكن رجالي لم يستطيعوا حتى الآن الاهتداء إلى مكان الممرضة أو الرجل ذي العنق

المحطم. وفقط عرفوا أن نقالة كانت تنتظرهما في المرفأ ومضت بهما. وسوف نعرف مكان هذه النقالة بعد ساعة أو اثنتين.. فهل تريد زيارة أخت الممرضة؟

- لا بأس

الفصل الحادي عشر

ذهب ميسون ودريك لزيارة ماريان هوايتنج. وفتحت لهما الباب فتاة ذات نظرات حادة وشعر كستنائي ترتدي معطفًا منزليًا أسود اللون. تأملتهما الفتاة لحظة ثم أفسحت لهما الطريق ودعتهما للدخول. فلما أخذوا مجلسهم جميعًا قال ميسون:

– جئنا لنتحدث إليك عن أختك إيفيلين وعن صداقتها لكارل موار.

فبدأ التحدي في عيني الفتاة وسألت:

– لماذا؟

فابتسم ميسون.. وقال:

– لا فائدة من اللف والدوران..إن اسمي بيري ميسون. وأنا محامي مسز نيوبري وطبيعي أني أجمع كل المعلومات الممكنة.

– وما شأن أختي بذلك؟

– يحتمل ألا يكون لها شأن في الأمر ولكن ذلك لا يمنعني من معرفة كل ما لديك عن الصلة بين أختك ومستر موار.

– لقد تعارفا منذ حوالي ستة أعوام، واستمرت صداقتهما إلى ما قبل زواج كارل بشهرين أو ثلاثة ثم انقطعت تمامًا، ولو أن أختي قابلته مصادفة في الشارع بلوس أنجلوس إلا أنهما لم يستأنفا صداقتهما، ويغلب على ظني أن أختي قطعت علاقتها بكارل لأنه قدم لها نصيحة مالية فاشلة.. وبالطبع

لم يكن كارل يبغي ضررها، ولكن تأثير فقدان ثروتها كلها كان سيئًا على نفسها.

– وهل تعرفين فيم استثمر كارل نقود أختك؟

– كلا.. ولكن يبدو أنه هو أيضًا خسر كل ما كان أدخره.

– وأين يقيم الآن؟

– في هونولولو بالطبع.

فتبادل المحامي ودريك نظرة ذات مغزى. ثم سأل ميسون.

– ومنذ متى ذهبت أختك إلى هونولولو؟

– منذ أسبوعين..

– أرجو أن تغتفري لي هذا السؤال.. أظنك تشتغلين؟

– كلا.. إنني لا أشتغل في الوقت الحاضر. فأني أبحث عن وظيفة سكرتيرة.

– ألم تذهبي لتوديع أختك بالميناء عند إبحارها؟

– ذهبت طبعًا..

– وهل تعرفين عنوانها في هونولولو؟

فنهضت الفتاة وغادرت الغرفة لتحضر الرسالة المحتوية على عنوان أختها.. ثم عادت بعد لحظات وقالت:

– إنها تقيم في الوادريف رقم ١٠٩١

ومد ميسون يده، فترددت الفتاة لحظة، ثم قدمت له الرسالة. فتأمل خاتم البريد وقال:

– لقد صدرت هذه الرسالة من هونولولو أول أمس.

– نعم.. فقد تسلمتها أمس.

– إن الخط المسجل به العنوان يفصح عن شخصية الكاتبة.

– هل تستطيع قراءة شخصية الكاتب بالاطلاع على كلمات قليلة كتبها بخط يده..

ووافقها ميسون على ذلك ولكنه راهنها بعشرة ريالات على أن في استطاعته أن يحدد لها أخلاق أختها إذا قرأ أية رسالة من رسائلها. وقبلت الفتاة الرهان.. وأخرج ميسون الرسالة وتظاهر بتأملها في حين أنه كان يستوعب محتوياتها، ثم أخذ يصف الممرضة طبقًا لما استطاع أن يقرأه من كتابتها، ولكن الفتاة خطأته على طول الخط.

فقال: مهما يكن.. فإنها تعنى بمريض.

فانكمشت الفتاة في مقعدها وصاحت:

– أنت تعرف أنها كانت ممرضة من قبل.. إن كنت حقًا قارئ خطوط فأخبرني بشيء آخر أهم.. مثلاً، ماذا تعمل في هونولولو؟

– إنها تتعهد حالة خاصة، حالة رجل صدم في حادث سيارة مثلاً، ويضع مسندًا حديديًا حول رأسه ولكني لا استطيع أن أعرف أكثر من ذلك.

– إن كل ما قلته غير صحيح يا مستر ميسون.

فبدا الارتباك على وجه ميسون، وقال:

– هل تحاولين سلب عشرة ريالات مني؟

– بالطبع لا.. لقد ذهبت أختي إلى هونولولو للترويح عن النفس.

– ومتى تتوقعين عودتها؟

– قالت أنها ستعود بعد أسبوعين، وإني أتوقع تلقي برقية منها بين لحظة وأخرى.

– إذن فقد ربحت أنت الرهان! شد ما أعجب!.. ما شكل أختك يا ماريان؟

– سأريك صورتها إذا شئت.

ومضت إلى حجرة النوم، فتبادل ميسون ودريك نظرة صامتة.

وقال ميسون لدريك:

– إن إيفيلين تصف الجزيرة في رسالتها لأختها، والأشخاص الذين قابلتهم والمراقص التي حضرتها.. وتخبرها أنه غاب عنها أن ترسل ثوبها للتنظيف والكي، وإنها ترغب في أن تعد لها أختها معطف الفرو حتى ترتديه عند عودتها ثم.. يا إلهي! لقد ذكرت شيئًا عن زوجها.

وعادت ماريان هوايتنج ومعها "ألبوم الصور" وضعته فوق المنضدة فنهض الرجلان وتقدما من المنضدة بينما أخذت ماريان تقلب صفحات الألبوم وهي تقول: "هذه صورة قديمة لإيفيلين وكارل موار، وهذه صورة إيفيلين في ثوب الاستحمام". وتوقفت فجأة، ثم ضحكت وقالت: يحسن ألا

تريا هذه الصورة.. إليكما صورة لنا ونحن في العطلة.. ها هي إيفيلين مع صديق لها. ثم قلبت عدة صفحات من الألبوم وهي تقول: إليكما صورتها عند إبحارها. فرفع ميسون الألبوم بين يديه وعرضه للضوء حتى يتمكن من دراسة الصورة بعناية. وقال:

– يا لها من صورة رائعة! إنك تقتنين آلة تصوير مدهشة يا آنسة هوايتنج.

– نعم.. وقد أهداها لي عم يملك مستودع آلات تصوير في الشرق.

– بهذه المناسبة.. من هذا الشاب الذي يقف خلف أختك مباشرة في الصورة؟ فإن هيئته تدل على أنهما متعارفان و..

فاختطفت الفتاة الألبوم، وهمت بالكلام، ثم توقفت وقالت لعله أحد ركاب الباخرة.

– يبدو إنه شديد الاهتمام بأختك، نظرته تدل على ذلك.. ثم أنه يضع يده على كتفها.

فقالت الفتاة بحنق:

– ليس من حقي أن أصارِح رجلاً غريبًا بأسرار أختي.

– أرجو ألا أكون قد آلمت شعورك فلست طفيليًا. لكن يبدو لي من الصورة أن هذا الشاب صديق أختك..

– إنه زوجها..

ولزم ميسون الصمت. فأردفت الفتاة:

- لقد تزوجت أختي سرًا وأبحرت إلى هونولولو في رحلة شهر العسل.. واسم زوجها مرجان إيفز ولكنها ليست على استعداد لإعلان نبأ زواجها في الوقت الحاضر.

- آه: إذن فهي ما زالت في هونولولو لقضاء بقية شهر العسل؟

- نعم.. وزوجها معها.

- يخيل إلى أنه تاجر.

- كلا.. إنه رجل شرير...

وأمسكت الفتاة فأسرع ميسون يقول:

- لا أظنه شريرًا فوجهه ينطق بالظرف.

- منذ أن عرفته أختي وحياتها مختلة وكم كنت أود لو لم تتزوجه..

- وماذا يعمل في الحياة؟

- لا أعلم.. وهذا هو القسم الغامض من حياته.. فهو يملك مالاً كثيرًا ولكنه شديد التشاؤم من الحياة، وأكبر ظني أنه ممن يتاجرون في الأمتعة المسروقة.

- معنى ذلك أن أختك لن تقيم معك هنا عند عودتهما؟

- نعم. ولو أنها ستقيم معي لمدة شهرين بعد عودتها.. لقد فهمت أنها لا تستطيع إعلان نبأ زواجها لسبب ما.. والآن أرجو أن تعدني بألا تذكر شيئًا عن زواج أختي للصحف.

– دعينا نبرم صفقة.. فتعطيني صورة من صور أختك وأنا أعدك بألا أتكلم..

– وأية صورة تريد؟

– الصورة التي تتهيأ فيها لركوب السيارة.

– إن لدي نسخة إضافية منها، وسأحضرها لك.

وعندما ذهبت الفتاة إلى غرفة النوم قال ميسون:

– إن الشاب الذي تزوجته الممرضة مجرم وقد قبض عليه مرتين أو ثلاثًا واتهم بجريمة قتل في لوس أنجلوس منذ شهرين أو ثلاثة ولكنه استطاع الإفلات بجلده وقد رأيته.

وعادت ماريان في تلك اللحظة فكف ميسون عن الكلام. وقدمت الفتاة الصورة لميسون فأخذها.. ثم نهض واقفًا وشكر الفتاة ووعدها بألا يذكر شيئًا مما سمعه منها اللهم إلا إذا سمعه من مصدر آخر..

وبينما كان دريك وصديقه يهبطان في المصعد، قال المحامي:

– إن هذه الصورة حديثة العهد يا دريك. وقد ظهر فيها رقم السيارة. فعليك أن تعهد إلى مكتبك في سان فرانسيسكو يتعقبها..

– حسنا.. وربما استطاع رد إلي أن يحصلوا على بعض المعلومات أثناء غيابنا.

وفي السيارة سأل دريك ميسون أن كان قد رأى زوج إيفلين بين ركاب الباخرة فأجاب المحامي بالنفي ثم قال أنه لا يستطيع أن يفهم كيف ترسل

إيفلين رسائل إيفلين رسائل لأختها من هونولولو وهي ليست هناك وعلل ذلك بأنه من المحتمل أن تكون قد كتبتها وعهدت إلى آخرين بإرسالها. ولكنه عجب لما يدفعها إلى ذلك اللهم إلا أن تكون قد أرادت أن تقيم الدليل على وجودها في الجزيرة في تلك الفترة.

– وأين زوجها؟

– لم أره.. وربما كان هو ذا العنق المحطم.

– وما الاسم الذي كان يطلقه على نفسه في الباخرة؟

– روجر ب. كارتمان.. صف لي هذا الشاب بقدر ما تستطيع يا بول.

– إن اسمه الحقيقي هو جيمس هويتلي ولكنه ينتحل اسم جيمس كلارك وهو شاب هزيل لا يزيد وزنه على مائة وخمسة وثلاثين رطلاً. دقيق الملامح. وقد ضبط في حادثين أو ثلاثة من حوادث تجارة المسروقات وسجن في سان كونتبين وفولسوم، ثم استطاع الإفلات من جريمة قتل، وقد أقام القاضي الدنيا وأقعدها حين أصدر المحلفون الحكم ببراءته ولكن ذلك لم يغير من الحكم.

– أكبر ظني أن هذا هو الشاب نفسه الذي كانت إيفلين تمرضه. بالطبع أنا لم أستطع رؤية وجهه بوضوح لأنه كان يخفيه ويخفي عينيه خلف عوينات سوداء ضخمة.

– إذن فقد وقع له حادث في هونولولو.

– وعادت به زوجته للعلاج.

– من المحتمل أن يكون قد ارتكب إثمًا في هونولولو ولجأ إلى هذه الحيلة للاختفاء عن أعين البوليس.. فهل تريد أن نسير إلى أبعد من ذلك في البحث؟

– بالطبع.. فإن علينا أن نجد ثغرة في القضية وإلا أدينت مسز نيوبري لأن الأدلة قوية للغاية ضدها برغم اقتناعي ببراءتها.. أن المحاكمة التمهيدية تبدأ غدًا واعتقد أنني سأتمكن من إرغام المحقق على إبراز كل ما في جعبته في الجلسة الأولى للمحاكمة وبذلك استطيع أن أحدث عدة ثغرات ولو مؤقتة في القضية ريثما استكمل بحثها وإعدادها.. وبهذه المناسبة أرجو أن يوفق رجالك للحصول على الصورة التي أنشدها..

– وما دخل الصورة في ذلك؟

– سوف ترى...

وفي الطريق عرجًا على مكتب دريك فعلما أن إيلين فيل قررت قبول الدعوة إلى الحفلة التي يقيمها أحد الساسة، كما علما أن رجال دريك لم يتمكنوا من الوقوف على أثر إيفيلين هوايتنج، فقد قررت جميع شركات المقاولات أنها لم ترسل إحدى نقالاتها إلى الميناء أمس.

فقال ميسون:

– ومع ذلك فقد رأيت أنا النقالة.

– وكذلك رأيتها أنا ولكني لم أوجه إليها أي التفات، إلا أنني رأيت كلمة "نقالة" مكتوبة على الباب المجاور للقائد فحسبتها نقالة خاصة..

– في استطاعتنا أن نبحث عنها على هذا الاعتبار.. آه! وهل عرفت أين ذهبت إيفيلين بحقائبها؟

– عهدت بها إلى شركة تخزين وتركت للشركة عنوانها بويفكريست.

– عجبًا لهذه الفتاة.. إنني لا أفهم معنى لتصرفاتها العجيبة.

ودق جرس التليفون فالتقط دريك السماعة وأصغى للمتحدث ثم قال لميسون:

– لقد اتضح أن السيارة مرخصة باسم مرجان إيفز المقيم بشارع ستوكتون رقم ٣٦١٨فهل تذهب إلى هناك؟

– نعم ولكني أرغب أولاً في الاتصال بسكرتيرتي تليفونيًا.

ولم يجد ميسون سكرتيرته في مكتبه المؤقت وعلم إنها انصرفت من الفندق بعد مغادرته له بعدة دقائق وهي ترتدي معطف مطر وقبعة لا تحمل في يدها غير حافظة نقودها. وانطلق ميسون ودريك إلى منزل ستوكتون.. فإذا به مكون من طابقين ونصف فأما الطابق الأول فكان مكونًا من حانوتين أحدهما حانوت لتنظيف وكي الثياب والآخر أستوديو للتصوير. وأما الطابق الثاني فكان يبدو خاليًا بينما كان الطابق الثالث مأهولاً.

وكان أحد رجال دريك قد تولى قيادة السيارة فأمره رئيسه بالوقوف بالسيارة على مبعدة، بينما ارتقى هو وميسون الدرج المؤدي إلى مدخل المنزل وتأملاً صناديق البريد فعثرا بينها على واحد باسم مرجان إيفز.. فضغط ميسون جرس الطابق الثالث ولكنهما لم يلتقيا ردًا فأدركا أن مرجان

غير موجود بالمنزل وسقط في يدهما، ولكن ميسون لاحظ أنه لا توجد حظيرة سيارات بالمنزل، وقال أنه يعتقد أن مرجان ترك سيارته في إحدى الحظائر العامة القريبة. واقترح أن يبحثا عن أقرب حظيرة للمنزل ويستعلما منها عن سيارة مرجان.

ولم يطل بحثهما، إذ سرعان ما عثرا على ضالتهما المنشودة، وعرفا من مدير الجراج أن مرجان إيفز يحتفظ بسيارته لديه عندما يكون في المدينة ولكنه لم يحضرها إليها منذ أمس.. وعندئذ أدعى ميسون أنه يريد شراء هذه السيارة، وطلب من الرجل أن يصفها له بالدقة حتى يستطيع أن يقدر الثمن المعقول.. فقال الرجل أن السيارة في حالة جيدة جدًا، ثم أجاب عن سؤال لميسون عن الموعد الذي يحتمل أن يعود فيه مرجان بأنه لا يعلم عن ذلك شيئًا لأن إيفز حمل السيارة بأمتعة كثيرة عندما أخذها أخيرًا ولم يقل متى يعود.

وسأل ميسون بغير مبالاة:

– وهل كانت زوجته معه؟

– كانت معه امرأة، ولكني لم أكن أعلم أنها زوجته.

وهكذا فشل ميسون في معرفة المكان الذي قصد إليه مرجان إيفز وزوجته إيفيلين، ولكن ذلك لم يفت في عضده. فقد تذكر أن لدى الممرضة آلة تصوير وأنه رآها وهي تلتقط بها صورة باخرتين قابلتا الباخرة التي كانوا يبحرون على ظهرها في عرض البحر.. فقال:

– لقد هبطنا إلى الشاطئ مبكرين صباح أمس، ولم ترحل الممرضة

وزوجها إلا بعد ظهر أمس، فمن المحتمل أنها عهدت للأستوديو بتحميض ما معهما من أفلام.

ومضيا إلى الأستوديو، فاستقبلتهما امرأة في الأربعين من عمرها. فقال ميسون:

– لقد جئت لأحصل للسيدة مرجان إيفز على صورها.. ومن المحتمل أنها تركتهما تحت اسم إيفيلين هوايتنج.

فقالت المرأة: – ولكنها طلبت إرسالها بالبريد.

– أعرف ذلك.. ولكنها طلبت إلى أن أحصل لها عليها.

ففتحت المرأة درج مكتب قريب وأخرجت منه غلافين لونهما أصفر.

وقالت:

– المطلوب ستة ريالات وخمسة وسبعون سنتا..

فأخرج ميسون ورقة من ذات الريالات العشرة وقدمها للمرأة وتطلع إلى الغلاف فرأى اسم "مسز إيفز" مكتوبًا فوقه بالقلم الرصاص ولكنه لم يجد عنوانًا على الغلاف فأسرع يقول:

– مهلاً لحظة.. لقد قالت لي ألا أدفع أكثر من خمسًا ريالات..

ولكن المرأة رفضت خفض الأجر وقالت أنها تفضل إرسال الصور بالبريد بطريقة الدفع عند التسليم حسب الاتفاق مع مسز إيفز، فوافق ميسون على ذلك وراح يحيث المرأة على المبادرة بإرسال الصور. فبدأت المرأة تعد صندوقًا خاصًا لتضع فيه الصور. ثم ألصقت فوقه بطاقة دونت

فوقها العنوان المطلوب وعندئذ قال ميسون أنه سيدفع الأجر المطلوب مجازفًا خشية أن يتأخر وصول الصور بالبريد. وكان ميسون يبغي من وراء كل هذه المحاورة معرفة عنوان مرجان إيفز وزوجته..

وسألته المرأة: متى تعود مسز إيفز؟

فأجاب بأنها ستعود بعد أسبوع، وعندئذ استفسرت منه عن مريضها ذي العنق المحطم فأجاب بأنه لم يره.. فقالت:

– إنه أمر محزن.. تصور أن المسكين يرتدي كرة حديدية فوق رأسه.. لقد قالت لي مسز إيفز أنه يرتديها منذ أسابيع وأنها أحضرته بالباخرة من هونولولو.. إني أتساءل كيف حاله الآن؟

– أظن أنهم أحضروه في نقالة.. أليس كذلك؟

– نعم.. حملوه على نقالة.. وكم عجبت من الذي يعني به فإني لم أر أحد يصعد إلى المنزل أو يهبط منه؟

– لا ريب أنهم نقلوه.

– لم أر أو أسمع صوت نقالة.

– هل تعرفين زوج مسز إيفز منذ وقت طويل؟

– منذ أقام هنا.

– هل رأيته قبل؟

– تعني قبل الزواج؟ نعم.. لقد جاء إلى هنا ذات مرة ليبتاع بعض

الأدوات وتحدثنا معًا.. وبهذه المناسبة. هل أعجبها إطار الصورة الذي أرسلته لها؟ وهل كان هو الذي طلبته بالضبط؟ لقد طلبته تليفونيًا فبادرت بإرساله.

– أظن أنني سمعتها تقول أنه أصغر قليلاً من الحجم المطلوب.

– إنه الحجم الذي طلبته.. فقد طلبته.. فقد طلبت أن يكون بيضاوي الشكل.

– لست أعلم شيئًا.. عن هذا الموضوع.

وشكر ميسون المرأة ثم غادر الأستوديو مع صديقه.

وفي الطريق سأل دريك ميسون أن كان قد وصل إلى بعض النتائج فأجاب:

– نعم إن المرأة لم تترك الأفلام فحسب. بل تركت عنوانها أيضًا.. ثم أنني أدركت الآن أن الشاب ذا العنق المحطم ليس إيفز.

وركبا السيارة وتأمل ميسون العنوان ثم قال:

– إنه في جبال سنتا كروز وهي ليست بعيدة عن هنا.. وأظن أنه يجدر بنا أن نذهب إلى هناك مباشرة..

وفي الطريق أرسل ميسون الصور بالبريد.. ثم قال:

– أعتقد أننا سنصل إلى مفتاح الموقف عندما نعثر على هذه الممرضة. فثمة هاتف خفي يؤكد لي أنها مشتركة في عصابة من الأشرار الخطرين.. ويغلب على ظني أن زوجها تركها في هونولولو وعاد بطائرة، وإنها اضطرت إلى القيام بأعمال التمريض لتحصل على نفقات العودة من هونولولو. فلما

كانت بالباخرة رأت موار وعرفته ولكنها اكتشفت أنه كان يتسمى باسم آخر. وأظن أنه ليس هناك أنسب من هذا الموقف للاحتيال وخاصة أن كارل موار كان يحمل مبلغًا كبيرًا من المال.

وكانا قد بلغا مكانا به تليفون عمومي، فاتصل ميسون بالفندق وعندما استفسر عن سكرتيرته وقيل له أنها لم تعد بعد، ارتسمت على وجهه علامات القلق الشديد.

فقال له دريك:

– يحتمل أنها ذهبت للبحث عن صاحبة الرداء الأزرق.

– هذا جائز، ولو أنها قلما تقدم على أي عمل من الأعمال بغير أذني.

وركبا السيارة وانطلقا بها إلى جبال سانتا كروز.

وبعد رحلة استغرقت ساعة ونصف بلغت السيارة الجبل.. فأمر ميسون السائق بالوقوف وهبط هو ودريك وسارا على قدميهما إلى أن بلغا المنزل المنشود، فتحسس كل منهما مسدسه استعدادًا للطوارئ. وطرق ميسون الباب، وبعد لحظات فتحته إيفيلين هوايتنج.. وما كادت تراهما حتى ارتسمت على وجهها علامات الدهشة المقرونة بالغضب، وهتفت:

– ماذا؟ ألست أنت مستر ميسون المحامي؟

سأل ميسون:

– هل أنت وحدك؟

– نعم.

– كنت أريد أن أتحدث إلى مستر إيفز.

– إنه غير موجود.

– هل تعرفين متى يعود؟

– كلا

– ألا تعرفين أين هو؟

– كلا

– يؤسفني أن أزعجك، ولكني مضطر إلى سؤالك عن بعض المعلومات.

– أنا لا أعلم شيئًا.

– مهلاً لحظة.. ألم تكوني صديقة كارل موار في أحد الأيام؟

– نعم.. ولكني لم أره منذ سنوات حتى رأيته أخيرًا في هونولولو.

– يبدو لي أنه كان يحاول أن يتجنب مقابلتك.

– أظن أنه كان يحاول ذلك في بادئ الأمر.. ومع ذلك فقد التقيت به مصادفة على سطح الباخرة في صباح يوم الأحد.

– أصغى إلي يا آنسة.. سأضع جميع أوراقي أمامك على المنضدة.. لقد كنت أبحث عنك باهتمام لأنني أعتقد أنك ستكونين شاهدة هامة في القضية التي أتولى الدفاع فيها.. وأنا أعرف كل شيء عن زواجك وعن ذهابك إلى هونولولو في رحلة شهر العسل.. فهل لك أن تخبريني لماذا اخترت هذه الجزيرة بالذات؟

– لقد ركبت الباخرة مع زوجي في طريقنا إلى هونولولو، ولكن قبل أن تخرج الباخرة إلى عرض البحر أقبل قارب بخاري سريع واضطر زوجي إلى العودة إلى الشاطئ وهبط إلى القارب على سلم من الحبال فشعرت بخيبة أمل مريرة ولكن زوجي أمرني بالاستمرار في الرحلة ووعد باللحاق بي ولكنه لم يفعل.

– ولم؟

– أظن أن هذا لا يعنيك..

– وها أنت قد عدت بغير أن تبلغي أختك بعودتك.

– نعم فقد عرضت لي فرصة تمريض مستر كارتمان الذي كان قد أصيب في حادث سيارة وارد العودة إلى المدينة ورأيتها فرصة سانحة للعودة.

– ألم تدعي أحدا يعلم بغيبتك؟

– كلا.

– بل إنك لم تقنعي بذلك بل اتخذت خطوات أخرى لتوهمي أختك بأنك لا تزالين موجودة في هونولولو، فرسائلك..

فقاطعته بحدة:

– وكيف عرفت ذلك؟

– لقد تحدثت إلى أختك.. وعرفت كل شيء يا مسز إيفز.

فعضت المرأة على شفتيها. ثم قالت:

– لن أتحدث معكما قبل أن يعود زوجي.

– آه.. إذن فزوجك على وشك الحضور؟

– حسنا.. إنني...

وأمسكت.. فقال ميسون:

– أظن أنك تعلمين لماذا ألقي عليك هذه الأسئلة يا مسز إيفز أنني أتولى الدفاع عن مسز موار.. فيجب أن تعلمي أنني لا أريد التدخل في شئونك الخاصة إلا بالقدر الذي تحتمه مصلحة موكلتي.

فأومأت برأسها.. ثم قال:

– حسنًا يا مستر ميسون.. سأفضي إليك بالحقيقة.. لقد تزوجت مرة قبل الآن ولكن هذا الزواج فشل. وترك في نفسي أثرًا عميقًا من الريبة في نوايا الرجال. ومنذ ذلك الحين عرفت قلائل من الرجال المتزوجين، وما رأيته من أخلاقهم جعلني أقرر ألا ألعب دور الزوجة التي تلازم المنزل بينما زوجها يلهو على هواه.. فبعد أن وصلت إلى هونولولو انصرفت إلى التفكير في الطريقة العجيبة التي استخدمها زوجي في الهرب مني والعودة إلى المدينة. وخشيت أن تكون في حياته امرأة أخرى. فنهشت الغيرة قلبي وبدأت أتلهف على العودة للكشف عن الحقيقة. ولكني لم أكن أملك نقودًا، كما أنني لم أكن أجد المبرر الشرعي لهذه العودة. إلى أن عرضت لي فرصة تمريض مستر كارتمان ووجدت فيها الفرصة التي أترقبها فعولت على العودة ولكني لم أكن أريد أن يعلم مرجان بعودتي فكتبت له خطابات وعهدت إلى صديقة في الجزيرة بإرسالها في مواعيد معينة. وفعلت ذلك بالمثل بالنسبة لأختي أن يتصل زوجي بها.

– وماذا فعلت عندما عدت؟

– طبيعي أنني اتصلت بمرجان.. فذهبت رأسًا إلى مسكنه.. و..

وكفت المرأة عن متابعة الحديث حينما سمعت صوت محرك سيارة تقف أمام الباب.

وتطلع ميسون من النافذة فرأى شابًا ترتسم على وجهه علامات القسوة والشر يهبط من السيارة ثم يتقدم من باب المنزل ويدفعه بعنف..

ووقف القادم على عتبة الباب وهو يتأمل ميسون وزميله. ثم قال: ما هذا!!

فقال ميسون: لا تنزعج يا إيفز فأنا بيري ميسون المحامي.

– هكذا تقول.

فقالت إيفيلين هوايتنج تطمئنه:

– هذا صحيح يا مرجان،فقد كان يركب الباخرة معي وأظنك تذكر أنني حدثتك عنه.

فأومأ إيفز برأسه.. وقال:

– حسنًا.. إذا كنت قد جئت لتلقي علينا أسئلة فلن تفوز منا بطائل.

فأشعل ميسون لفافة تبغ وقال:

–كن عاقلاً يا إيفز ودعنا نتحدث بهدوء.

– حسنًا ماذا تريد..؟

– أنا محام يا إيفز، وقد توليت مهمة الدفاع عن مسز موار.. ومن الطبيعي أن يحاول الاتهام إعداد قضية محبوكة ضد موكلتي.. ولقد كانت زوجتك على ظهر الباخرة وكانت تتولى تمريض شاب كسر عنقه.. ولما كانت زوجتك تعرف موار قبل أن يتزوج وكان موار ينتحل اسمًا آخر أثناء الرحلة فقد تبادر إلى ذهني أنها ربما تعرف شيئًا يفيدني في مهمتي الشاقة. فجئت لأسألها.

– لقد سألتها بالطبع، فماذا قالت لك؟

فنظر ميسون إلى الممرضة متسائلاً، فأومأت برأسها. فقال ميسون:

– قبل أن آتي إلى هنا أجريت بحثًا في شئون زوجتك فعرفت أنها تزوجتك وأنكما أبحرتما إلى هونولولو في رحلة شهر العسل.. وقد أخبرتني زوجتك بأنك استدعيت من الباخرة وإنها استمرت في الرحلة وحدها.. ولم تلبث أن شعرت بثقل وطأة الوحدة فلما عرضت لها فرصة العودة إليك لم تتوان في انتهازها.

فضحك إيفز بمرارة.. وقال:

– لعنة الله على الوحدة! لقد جاءت اللعينة لتستوثق من أنه ليست هناك امرأة أخرى.

– هذه مسألة لا شأن لي بها.. لقد كان هذا هو كل ما قالته لي زوجتك.

فأشعل إيفز لفافة تبغ. وجلس فوق مقعد قريب ثم قال:

– في استطاعتنا أن نبذل لك العون إذا اتفقت معنا..

– ولكني لا أستطيع إبرام أي اتفاق.. لقد كنت متهمًا بجريمة قتل يا إيفز في أحد الأيام وأظنك تعرف ما هو شعور المتهم.

فصاح إيفز بحدة:

– من الذي أخبرك بذلك؟

– طائر صغير مجهول.

فقطب إيفز حاجبيه ثم قال:

– حسنًا يا ميسون.. سألتزم الصراحة معك.. لقد قلت لإيفيلين أن تلتزم الصمت ولكني سأفضي إليك بما يفيدك: لقد كانت إيفيلين تعرف موار قبل أن يتزوج ورأته على ظهر الباخرة فطلب منها أن تلزم الهدوء حتى يتحدث إليها.. وانتظرها على سطح الباخرة في يوم الأحد، وقال لها أنه في مركز حرج، ولكنه يملك مالاً كثيرًا حصل عليه من سبيل غير شريف، وإن رجال البوليس سوف يقبضون عليه بتهمة اختلاس نقود هو في الواقع لم يختلسها، ولكنه لن يستطيع تبرئة نفسه من هذا الاتهام إلا بكشف القناع عن أمر آخر غير شريف سبق له أن ارتكبه.. وقال لإيفيلين أنه مجنون بالعطف على ابنته وإنه سيعطي النقود لزوجته ثم ينتحر.

فقال ميسون وهو يتصنع الهدوء:

– هل تعلم إن ذلك كفيل بتبرئة مسز موار؟

– لا أعلم.. فقد كان ذلك هو ما اعتزم موار أن يفعله.. ولكن زوجته لم تكن تعلم بهذا العزم. فمن المحتمل أنها أرادت التخلص منه فتعقبته إلى سطح الباخرة وقتلته.

– وكيف عرفت المعلومات التي أفضيت إلى بها الآن؟

– عرفت بعضها من زوجتي واستنتجت البعض الآخر من تصريحات إيلين فيل.

– مهما يكن.. فإن شهادة زوجتك تكفي لتبرئة ساحة موكلتي، فهل أحصل عليها؟

– بالطبع.. ولكني أؤكد لك أنك ستصادف مفاجأة عظيمة عند نظر القضية وثق تمامًا أن موكلتك سوف تدان..

فهو ميسون كتفيه استخفافًا وقال: من يدري؟

– سوف تفاجأ بشهادة لم تكن تتوقعها..

وذهبت جهود ميسون في استدراج إيفز للإفصاح إدراج الرياح.

فعاد يسأل إيفيلين عما إذا كانت قد بعثت برسالة إلى موار ليلة الحادث.. فنفت ذلك، ولكنها اعترفت بأنها تركت غلافًا به فواتيرها الممضاة في المكان الذي وجدت به الرسالة.. فقال:

– وماذا حدث للمريض الذي أحضرته معك؟

فألقت المرأة نظرة خاطفة على زوجها.. وقال إيفز:

– لا شأن له بهذه القضية، فهو لم يسمع الحديث.. ولقد اضطرت زوجتي إلى إحضاره إلى منزلي لأنه لم يكن يملك الأجر الذي اتفق عليه مع زوجتي فأرسلته زوجتي إلى هنا وانتظرت قدوم أسرته لدفع الحساب وتسلمه.. فلما أدركت الأسرة إنها تتعامل مع رجل لا يعرف المجاملات دفعت الأجر المتفق عليه..

– وأين كارتمان الآن؟

– لا أدري.. ولا يهمني أن أعرف شيًا عنه.

فأخرج ميسون من جيبه إعلان شهود وقال:

– حسنًا.. إن مصلحتي موكلتي تحتم علي أن أعلن زوجتك شاهدة في القضية.. فهل تفضل أن يكون الإعلان باسم إيفيلين هوايتنج أم مسز إيفز؟

– ليكن باسم إيفيلين هوايتنج لأن عقد زواجنا لم يسجل بعد وأعلن ميسون الزوجة بأنها مطلوبة للحضور كشاهدة نفي في قضية مسز موار في الساعة العاشرة من صباح اليوم التالي. ثم طلب إليها أن توقع على الإعلان.. فوقعته.

الفصل الثاني عشر

وبينما كان ميسون يدخل ردهة الفندق قال لبول دريك:

– لقد أنعمت الفكر في مقابلتنا مع الزوجين إيفز، ولست أكتمك إنني لست مرتاحة إلى النتيجة.

– لماذا؟ أن إيفز رجل شرير، ولكنه أبدى لك احترامًا شديدًا.. إن حديث موار لإيفيلين هوايتنج هو كل ما تحتاج إليه أمام المحلفين..

– مهما يكن.. فإني أريد منك أن تبحث عن روجر ب. كارتمان، وعن كل ما يتعلق بحادث المصادمة التي أصيب فيها بالجزيرة..

– حسنًا.. سأبدأ بالبحث منذ الآن..

وتقدم ميسون من مسجل الفندق وسأله عن سكرتيرته فأجاب الرجل بأنها لم تعد.

وصعد ميسون ودريك إلى جناح الأول.. وقال ميسون:

– أصدقك القول إنني غير مرتاح لغياب ديللا الغامض.. تحرك يا أخي.. اتصل برجالك وأطلب إليهم أن يقبلوا المدينة رأسًا على عقب بحثًا عن الفتاة.

فانصرف دريك إلى الغرفة المجاورة ليتصل بمعاونيه.. وفي تلك اللحظة دق جرس التليفون فالتقط ميسون السماعة فإذا بالمتكلمة بيل نيوبري.

قالت أنها موجودة في فندقها فقد أطلقوا سراحها وإنها حاولت عبثًا الاتصال به خلال الساعات الأخيرة. فسألها ميسون إن كانت تعرف شيئًا عن سكرتيرته فأجابته بالنفي فطلب إليها أن تستقل سيارة أجرة وتوافيه على عجل.

وعاد دريك ليقرر أن رجاله لم يعثرا لديللا على أثر في مراكز البوليس أو المستشفيات فازداد قلق ميسون.. فقال دريك:

– من الجائز أن شيئًا مفاجئًا طرا، وأنها غادرت الفندق بسبب هذا الشيء المجهول، ولكنها لم تستطع الاتصال بك لتخبرك بالمكان الذي تقصده.. ومن الجائز أيضًا أنها عرفت صاحبة الرداء الذي عثر أوسكار على قطعة منه فذهبت لتستوثق من أن استنتاجها كان صحيحًا.

وأقبل أحد الخدم في تلك اللحظة ليعلن قدوم بيل نيوبري..وحيت بيل المحامي وزميله باسمة.. وبعد أن أخذت مجلسها افتتحت الحديث بوصف ما لقيته من عناء أثناء احتجازها.. وعندئذ قال ميسون:

– لقد تحدد صباح الغد لبدء المحاكمة. وقد وقفت على شاهدة سوف تؤدي شهادتها إلى انهيار القضية من أساسها، وغدًا مساء سوف تكون أمك حرة طليقة.

فبدت الدهشة والسرور على وجه بيل وهتفت:

– أواثق أنت من ذلك؟

فأومأ ميسون برأسه وقال:

– سوف تشرح هذه الشاهدة كيف سقط كارل في الفخ ولما أدرك أنه هالك صمم على وضع حد للموقف ليجنبك العار.

– هل تعني أنه انتحر؟

– نعم..

فبدأ الحزن على وجه الفتاة، ثم سألت:

– لكن لماذا انتحر؟

– أعتقد أن النقود التي كانت معه كانت غير مشروعة فخشى بطش القانون.

فهزت الفتاة رأسها سلبًا وقالت:

– لا أظن ذلك مما يتفق وأخلاق كارل.. لقد كان رجلاً شديد التحفظ، ولم يكن من المغرمين بالمجازفات.

– مهما يكن.. فإن الحقائق كلها تشير إلى الاتجاه الذي قلته لك.. كما أن شهادة كهذه الشهادة تعزز هذا الرأي.

وكان ميسون يعبث بقطعة من القماش في يده.. فرأتها الفتاة وسألته عنها، فأخبرها أنها قطعة من ثوب كانت ترتديه إحدى المسافرات على الباخرة، وسألها إذا كانت تذكر صاحبة هذا الثوب فصاحت:

– نعم.. إني أذكر أنني رأيت الممرضة ترتدي ثوبًا من هذا القماش..

– هل أنت واثقة من ذلك؟

– كل الثقة..

فالتف ميسون إلى دريك وقال: إليك الجواب عن سؤالك يا بول.. لا ريب أن ديللا تذكرت اسم صاحبة الثوب فذهبت لتستوثق من صدق رأيها. وأظنك تذكر أن إيفيلين موجودة بالمنزل الجبلي منذ مساء أمس بينما كان إيفز متغيبًا طول ليلة أمس.. وهو رجل شرير فيما نعلم لا يتورع عن ارتكاب أية جريمة لإنقاذ نفسه..

ولم يدع دريك ميسون يتم حديثه وصاح:

– والآن ماذا عسانا نصنع؟

– استدع ثلة من رجالك الأقوياء المسلحين بالمسدسات فسنعود إلى المنزل الجبلي لنحسم الموقف..

وبدا الفزع على وجه بيل حين سمعت دريك يصدر أوامره إلى أعوانه..

فقال ميسون موضحًا: لقد اختفت سكرتيرتي ديللا ستريت منذ الصباح ونحن ذاهبون للبحث عنها..

– هل أستطيع أن أصنع شيئًا من أجلها؟

– كلا.. فقط أرجو أن تنتظري هنا وتلعبي دور السكرتيرة فتتلقى كل الرسائل التليفونية.. وتعدي لي تقريرًا مفصلاً بكل ما يحدث حتى أعود..

وتسلح ميسون ودريك بمسدسيهما وغادرا الفندق..

الفصل الثالث عشر

استقل ميسون ودريك ومن معهما من أشداء الرجال بسيارتين.. وكانوا يعلمون أنهم مقدمون على معركة حامية لما اتصف به مرجان إيفز من قسوة ووحشية وسعة حيلة..

وفي الطريق قال دريك لميسون: وما الدور الذي تظن أن الممرضة قد لعبته؟

– لا أدري، فإنها وزوجها يخفيان شيئًا عني، وإلا فكيف بحق الشيطان وجدت قطعة من ثوبها على حاجز السفينة من الخارج؟

وعندما أصبحت السيارة على مبعدة نصف ميل، قال ميسون للسائق:

– أسرع حتى إذا وصلت إلى بطن الوادي! أوقف المحرك ودع السيارة تسير بقوة الاندفاع ثم أطفئ النور.

وبعد لحظات هبط الجميع من السيارتين وأصدر ميسون أمره إلى الرجال بمحاصرة المنزل ولكنه نهاهم عن استعمال مسدساتهم إلا إذا أطلقت النار عليهم.. وتقدموا من المنزل كالأشباح تسير في جنح الظلام، حتى إذا ما بلغوه ألفوه معتمًا.. فصعد ميسون ودريك الدرج المؤدي إلى مدخل المنزل وطرق ميسون الباب، فلما لم يسمع جوابًا أعاد الطرق بغير جدوى، ثم أدار مقبض الباب فألقاه مغلقًا بالمفتاح..

وتقدم ميسون من نافذة على مقربة من الباب وسدد أشعة مصباحه

الكهربائي خلال زجاجها.. فلم يجد أحدا بالداخل، عندئذ ضرب الزجاج بمقبض المسدس فتهشم.. فمد يده يتحسس موضع المزلاج حتى عثر عليه فأداره ففتحت النافذة.. ولم يسفر تفتيش المنزل عن العثور على صاحبيه أو على ديللا ستريت.

وأخيرًا قال ميسون:

– لقد سخر اللعينان منا. وما قبل إيفز إعلان زوجته شاهدة إلا ليتخلصا منا ويلوذا بالفرار.

وعادوا جميعًا إلى السيارتين وانطلقوا إلى حظيرة السيارات القريبة، وهناك علما أن إيفز وزوجته رحلا بسيارتهما عقب انصرافه من زيارتهما بنصف ساعة، وإن السيارة كانت محملة بالأمتعة..

واتصل دريك بمعاونيه في سان فرانسيسكو وعلم منهم أن ديللا ستريت استأجرت سيارة قبل الظهر بقليل, وسددت أجرة السيارة لمدة أسبوع. وكانت تنتحل اسم د. م. كرنشو، ولكنهم لم يستطيعوا الاهتداء إلى أثرها بعد ذلك..

وبدت الحيرة على وجه ميسون.. فقال له دريك:

– أظن أنه من الأفضل أن نعود الآن إلى الفندق لننام فإن أولى جلسات المحاكمة ستبدأ صباح الغد وقد نعرف غدًا ما نجهله اليوم عن ديللا.

فاستدار ميسون على عقبيه ثم قال: أصبت. هيا بنا.

الفصل الرابع عشر

في صباح اليوم التالي ازدحمت قاعة المحكمة بجمهور غفير قدم لرؤية هذه المحاكمة المشهودة. وكان بيري ميسون بادي التعب محمر العينين، لأنه لم يذق طعم النوم في الليلة السابقة ولكنه كان متمالكًا أعصابه.. وقال للقاضي:

–إننا على استعداد للدفاع يا سيدي..

فقال القاضي:

–إذن لتستدع النيابة أول شهودها..

وكان وكيل النيابة مستر دونالدسون ب. سكادر رجلاً هزيلاً ولكنه ثاقب النظرات قال: – أرى أن نبدأ أولاً بسماع شهادة مستر فرانك رمنجتون..

فالتفت ميسون إلى آنا موار مشجعًا. وكانت المتهمة ترفع رأسها عاليًا وقد تمثل في نظراتها التحدي والاستخفاف.. وشهد فرانك رمنجتون بأنه مدير مكتب شركة المنتجات الصناعية في سان فرانسيسكو وأن الشركة استخدمت شخصًا اسمه كارل ويكرموار ولكن هذا الرجل تغيب عن عمله منذ حوالي شهرين ولم يره الشاهد بعد ذلك.

وفتح وكيل النيابة حقيبته وأخرج منها صورة قدمها للشاهد الذي قال:

– إنها صورة كارل ويكرموار كاتب الحسابات بالشركة سابقًا..

ودعا وكيل النيابة المحامي ميسون لسؤال الشاهد ولكن ميسون أتى

بحركة من يده تدل على أنه ليست لديه أسئلة يلقيها على هذا الشاهد.

وأعلن وكيل النيابة أن الشاهد الثاني هي الآنسة إيلين فيل. وتقدمت الشاهدة وكانت في أوائل العقد الرابع من عمرها، وتحاول أن تستر اضطرابها خلف ستار من الكبرياء، وبعد أن أقسمت اليمين أجابت عن الأسئلة التمهيدية بأن اسمها إيلين لينورفيل وصناعتها مدرسة..

وسألها وكيل النيابة:

– أين كنت ليلة الأحد السادس من هذا الشهر؟

– كنت مسافرة على ظهر باخرة من هونولولو إلى سان فرانسيسكو.

– أنظري إلى المتهمة مسز أنا نيوبري موار.. هل كانت بين ركاب الباخرة؟

– نعم يا سيدي.. ولكنها كانت تطلق على نفسها مسز نيوبري فقط.

– ومن كان يرافقها في رحلتها؟

– زوجها كارل نيوبري وابنتها بيل نيوبري..

– هل بيل نيوبري هي الفتاة الجالسة بجانب القفص في الصف الأول؟

– نعم..

– وهل يمكنك التعرف على كارل نيوبري إذا رأيته مرة أخرى أو إذا عرضت عليك صورته؟

– نعم..

فقدم وكيل النيابة إليها صورة قالت بمجرد رؤيتها لها أنها صورة كارل نيوبري..

وهنا ألقى وكيل النيابة سؤالاً على الشاهدة عن حالة الطقس في ليلة الأحد المشهودة. فأجابت بأنه كان عاصفًا وأن المطر كان ينهمر بغزارة مما جعل الوقوف على الجانب الأيمن من الباخرة مستحيلاً لشدة عصف الريح في هذا الاتجاه.. بعكس ما كان عليه الحال في الناحية اليسرى..

– ومتى رأيت مستر كارل موار أو كارل نيوبري لآخر مرة يا آنسة؟

– في مساء اليوم السادس من هذا الشهر، وكان ذلك قبل التاسعة بقليل..

– وأين كنت تقفين؟

– فوق السطح أسفل سطح القوارب وعلى مقربة من الدرج.

– وأين رأيت مسز نيوبري؟

– رأيته وزوجته المتهمة يخرجان إلى السطح.. ووقفا هناك قليلاً وهما يتلفتان حولهما وبعدئذ تقدم صوب الدرج المؤدي إلى سطح القوارب.. فمرا بي في طريقهما إلى الدرج، ولم تكن المسافة التي تفصل بيننا تزيد على أقدام قليلة.

– وماذا كنت ترتدين في ذلك الوقت؟

– كنت ارتدي قبعة (بيريه) ذات لون غامق، ومعطف مطر ذا لون غامق أيضًا.. وكنت أقف في جزء مسقوف من السطح أسفل الدرج مباشرة.. ولما

كنت واقفة في الظل فإن الزوجين لم يرياني.. ولقد سمعت المتهمة تتكلم ولكني لم أميز قولها. كما سمعت زوجها يرد عليها فاستخلصت إنها..

– دعينا مما استخلصت.. وأخبرينا بما سمعت بالدقة..

– حسنًا.. قال مستر موار: "أقول لك إنني سأتصرف في الأمر على طريقتي الخاصة، وعليك أن تكفي عن التدخل في الموقف"..وبعدئذ هرول مستر نيوبري نحو الدرج المكشوف المؤدي إلى سطح القوارب.. وكان المطر ينهمر بغزارة فرأيت سترة مستر موار تبتل وهو يصعد الدرج.. وركضت المتهمة في أثر زوجها وبدأت ترتقي الدرج، فالتفت مستر موار إليها واعترض على مجيئها وأمرها أن تعود إلى مقصورتها، فانتظرت حتى صعد إلى قمة الدرج ثم تبعته..

– وماذا كانت ترتدي؟

– فستان سهرة غامق اللون..

– حسنًا.. استمري.. ماذا حدث بعد ذلك؟

– صعدا إلى سطح القوارب.. وسمعت وقع أقدامهما على السطح الذي فوقي.. وبعد قليل سمعت صوت مشاحنة.. أعني صوت عراك..

فقال ميسون:

– أرجو حذف كلمتي مشاحنة وعراك لأنني أعتقد إنهما استنتاج من عند الشاهدة..

فقال وكيل النيابة:

– لنقل إنها أصوات حركة.. فصفي لنا ما سمعت أيتها الشاهدة..

– كانت أصوات هرولة أعقبها صوت شد وجذب ودفع كالأصوات التي تنتج عندما يحاول اثنان..

فقاطعهما النائب:

–لا ضرورة لذلك فإني أعتقد أن المحكمة قد فهمت ما سمعت.. والآن أخبرينا ماذا فعلت؟

– بعد بضع دقائق.. تقدمت من الدرج لأصعد إلى السطح العلوي لاستطلع جلية الأمر.. وعندما توسطت الدرج سمعت طلقًا ناريًا، فلما بلغت القمة..

– هل كان هناك ضوء على سطح القوارب؟

– كلا. لم يكن سطح القوارب مضاء. ولكن كان هناك ضوء ينبعث من قسم المستشفى وهو في مواجهة ملعب الجمباز.. ويوجد في هذا الجزء من الباخرة درجان أحدهما إلى اليمين والآخر إلى اليسار، وقد ارتقيت الدرج الذي إلى اليسار، وكان الضوء ينبعث من قسم المستشفى فقد كان بابها ونافذتها مفتوحين ولم يكن يفصلني عن هذا الباب أكثر من خمسين ياردة.. وقد رأيت المتهمة مائلة فوق زوجها الذي كان ممددًا فوق الأرض لا يبدي حراكًا وبعدئذ رفعت الجثة..

فقاطعها النائب:

– هل تقصدين (بالجثة) مستر موار؟

– نعم.. رأيت المتهمة تضع يدها أسفل أبطي الجثة، ثم ترفعها قليلاً وبعدئذ جذبتها نحو الحاجز. وحدث في تلك اللحظة أن مالت الباخرة إلى اليمين فلم تستطع المتهمة التقدم بالجثة، فلما مالت الباخرة يسارًا جذبت المتهمة الجثة بسرعة نحو الحاجز ثم رفعتها، ورفعت المسدس وأطلقته على الجثة مرة أخرى.. وبعدئذ دفعتها إلى الماء، فلما فعلت ذلك ركضت إلى مقدمة السطح، واختفت عن عيني خلف قسم المستشفى فبدأت أصرخ.

– هل تعرفين كم كانت الساعة وقتئذ؟

– كانت الساعة التاسعة ولحظات قلائل، فقبل أن أسمع الطلق الأول كنت قد سمعت جرس الباخرة يدق مرتين مؤذنًا بالساعة التاسعة..

وهنا تحول النائب إلى ميسون وقال له:

– تستطيع أن تسأل الشاهدة إذا أردت..

فنهض ميسون ببطء وسأل:

–ماذا كانت ترتدي مسز موار؟

فأجابت بحدة:

– لقد ذكرت ذلك من قبل فقلت إنها كانت ترتدي ثوب سهرة غامق اللون مفتوح الظهر.

– أكانت تلك الليلة هي ليلة وليمة ربان الباخرة؟

– نعم..

– وماذا كنت ترتدين؟

– قلت إنني كنت أرتدي معطف المطر ونظرًا لأنني كنت أقف في الظل فإنه كان من المستحيل على أحد أن يراني.

– أنا لا أسألك عن معطف المطر. بل عما كنت ترتدينه تحته.

– لست أرى لذلك أية أهمية.

– إن ما أرمي إليه أنك كنت أيضًا ترتدين ثوب سهرة لهذه المناسبة؟

– هذا صحيح..

– وهو ثوب من الحرير الأزرق الفاتح؟

– نعم..

– وكنت ترتدينه بمناسبة وليمة الربان؟

– نعم..

– وهل قررت الصعود إلى سطح الباخرة بعد وليمة الربان؟

– نعم..

– وهل ذهبت إلى غرفتك لترتدي قبعتك ومعطف المطر..

– نعم..

– هل أنت واثقة من ذلك؟

– نعم..

– ألم تلتقطي أي شيء من مقصورتك غير معطف المطر والقبعة؟

– هذا ليس من شأنك.

فانثنى القاضي إلى الشاهدة وقال لها بجفاء:

– يجب أن تردي على أسئلة الدفاع باحترام أيتها الشاهدة. هل التقطت شيئًا آخر غير القبعة ومعطف المطر من المقصورة؟

فأجابت إيلين فيل بحدة: كلا.

فقال ميسون: قلت إن مستر موار ارتقى الدرج المكشوف وأنه اعترض على زوجته حين همت باللحاق به، وإن اعتراضه كان بإشارة من قدمه اليمنى، وبمعنى آخر أنه حاول أن يركل زوجته.. أليس كذلك؟

– نعم.. أظن ذلك..

– إذن لماذا لم تقرري ذلك من قبل؟ هل يرجع ذلك إلى أنك تحابين الاتهام ولا تريدين أن نعتقد أن مسز موار كانت تدافع عن نفسها؟

– أنا لا أحمل أية ضغينة لمسز موار، سوى ما يشعر به كل إنسان نحو زوجة قتلت زوجها عمدًا..

– قلت إن مسز موار كانت ترتدي ثوب سهرة بلا ظهر فهل كان الثوب شديد الالتصاق بجسمها على مألوف أثواب السهرات؟

– نعم..

– قلت أن مسز موار تبعت زوجها إلى سطح القوارب؟

- نعم..

- وهل يوجد حاجزان جانبيان لهذا الدرج؟

- نعم..

- وهل كانت مسز موار تعتمد بكل يد من يديها على أحد هذين الحاجزين عند صعودها الدرج؟

- نعم.. إنها.. كلا إنها لم تعتمد.. كانت تعتمد بيدها اليمنى على الحاجز الحديدي بينما كانت ترفع ثوبها بيدها اليسرى.

- إذن هل يمكنك أن تفسري للمحكمة كيف أن امرأة تعتمد بيدها اليمنى على الدرج، وترفع باليسرى طرف ثوبها الشديد الضيق، تستطيع أن تحمل مسدسًا من عيار ٣٨؟

وسرت في قاعة المحكمة همهمة. ومال النظر في مقاعدهم إلى الأمام بينما لزمت الشاهدة الصمت لحظة.. ثم أجابت:

- كانت تحمل المسدس في يدها اليسرى.

- تعنين أنها كانت تحمل المسدس وترفع طرف ثوبها بيدها اليسرى؟

- نعم.. كان المسدس أسفل ثنيات الثوب..

- هل كان الثوب شفافًا؟

- يحتمل..

- هل كان في استطاعتك أن تري المسدس من خلاله؟

– حسنًا. حسنًا. لا أظن أن هذا كان في استطاعتي..

– بمعنى آخر، إنك لم تري مسز موار تذهب إلى سطح القوارب ومعها مسدس. وعندما مرت على قيد خطوات منك فإنك لم تري معها مسدس.. أليس كذلك؟

– حسنًا. أعرف أنه كان معها مسدس.. بل لابد أنه كان معها مسدس..

– وهذه هي الوسيلة الوحيدة التي عرفت بها إنها كانت تحمل مسدسًا. أعني مجرد ظنك أنه لابد إنه كان معها مسدس؟

– نعم.. إذا شئت أن تعبر عن رأيي بهذه العبارة..

فابتسم ميسون وقال:

– بالطبع هذا ما أعنيه.. والآن.. هل سمعت طلقًا ناريًا عندما توسطت الدرج؟

– نعم..

وعندما بلغت السطح رأيت مسز موار مائلة فوق زوجها فاقد الوعي؟

– بل جثته الهامدة؟

– آه! إذن فقد كان جثة هامدة.

– نعم..

– هل كنت واثقة من ذلك؟

– وبعبارة أخرى كنت واثقة من أن مستر موار كان ميتًا في تلك اللحظة؟

– أظن أنه كان كذلك.. نعم.

– هل تظنين أم تعرفين؟

وهنا وثب النائب واقفًا وقال للقاضي:

– إني اعترض على هذا السؤال..

فقاطعته ميسون:

– وأنا اعترض على تدخل الاتهام لتوجيه الشاهدة في الاتجاه الذي يروقه.. إن الشاهدة فتاة مثقفة وكفء للإجابة بنفسها عما تسأل.. لقد قالت أن مسز موار كانت تميل فوق جثة زوجها الهامدة، وقد استعملت كلمتي "الجثة الهامدة" لتوغر صدر المحكمة ضد مسز موار، ولهذا فإني سأعمل الآن على أن أجعلها تسحب هذا القول.. وسأجعلها تقر بأنها لا تعرف أن كانت الجثة هامدة أم لا.

فصرخت الشاهدة:

– لن تستطيع ذلك.. لقد قلت أن الجثة كانت هامدة وهذا ما أعنيه..

وجلس النائب.. فقال ميسون:

– تعنين أن موار كان ميتًا حين صعدت إلى سطح القوارب؟

– نعم..

– إذن فأنت حين تقولين أن المتهمة جذبت جثته إلى الحاجز وأطلقت عليها طلقًا ثانيًا تريدين من المحكمة أن تفهم أن الطلق الثاني لا دخل له في قتل مستر موار لأن مستر موار كان ميتًا فعلاً.. أليس كذلك؟

وهمت الشاهدة بالكلام. ثم أمسكت وما لبثت أن قالت بوحشية:

– أظن أن مسز موار كانت تريد التأكد من أن زوجها ميت..

– إذن فإن رأيك ينحصر في أن مسز موار – برغم وقوفها على مبعدة أقدام قلائل من زوجها – لم تكن متأكدة من موته عندما جذبته نحو حاجز الباخرة، في حين أنك أنت التي كنت تقفين على مبعدة خمسين أو ستين ياردة منه على استعداد لأن تقسمي أنك عرفت من أول نظرة أنه ميت... أليس كذلك؟

– كان ميتًا..

فابتسم ميسون.. وقال:

– وقبل أن ترفع مسز موار زوجها إلى السور مالت السفينة ميلاً شديدًا إلى اليسار؟

– نعم..

– وبهذه المناسبة.. ألم يتمزق جوربك عندما سقطت فوق سطح القوارب؟

– تمزق عندما سقطت..

– تعنين أنك سقطت عندما تأرجحت الباخرة بشدة؟

– نعم.. بل لقد كدت أسقط في المحيط..

– وكيف استطعت استعادة توازنك يا آنسة فيل؟

– أمسكت بالحاجز بكل قواي واستطعت أخيرًا أن أقف بجواره..

– لا ريب أن ذلك استغرق كل اهتمامك لعدة دقائق؟

– نعم..

– ألم ترفع مسز موار زوجها إلى السور وتطلق عليه النار ثم تلقي به في أليم عندما حدث هذا التأرجح الشديد؟

– نعم..

– وأنت. هل تدحرجت عدة مرات قبل أن تتشبثي بالسور؟

– تدحرجت مرتين ثم انزلقت ما تبقى من المسافة..

– وهل انزلقت فوق وجهك؟

– نعم..

– ومع كل هذا فأنت لم تحولي عينيك عن مسز موار فرأيتها ترفع زوجها على السور، وتطلق النار عليه ثم تقذف به في الماء؟

فترددت وقالت: حسنًا..

– أليست حقيقة أنه على أثر حدوث ذلك تحدث إلى زميلتك في المقصورة وقلت لها أنه حين بدأت مسز موار تجذب زوجها إلى السور فقدت توازنك ولم تري ما حدث ولكنك سمعت الطلق الناري الثاني ثم رأيت مسز موار تعدو فوق السطح وحدها؟

– إذن لم تكن هي التي أطلقت النار عليه وألقت به في الماء فمن فعل ذلك..

– هذه هي النقطة التي سنترك للمحكمة تقريرها.. والآن أليس صحيحًا أنك لم تري ما حدث عند السور؟

– حسنًا.. كلا.. لقد رأيت ما حدث..

– ولكن ألم تقرري في وقت أن كان الحادث لا يزال ماثلاً في ذهنك أنك لم تري شيئًا؟

– ربنا قلت ذلك..

– أيهما أصح إذن... ما قلته وقتئذ أو ما تقولينه الآن؟

فترددت ثم أجابت:

– لم أرى.. أعني، أنني لم أرى بعيني مسز موار وهي ترفع زوجها إلى السور وتلقي به في الماء.. ولكني سمعت الطلق الناري..

– ألم ترى مسز موار وهي تطلق النار على زوجها أول مرة؟

فلم تجب..

– لقد أطلقت الرصاصة الأولى وأنت في منتصف الدرج.. أليس كذلك؟

– أنا لم أرها تطلق الرصاصة الأولى..

– إذن فأنت لا تعرفين إن كانت مسز موار قد أطلقت إحدى الرصاصتين على زوجها من عدمه؟

– أظن أنه حين تكون امرأة..

– أنا لا أريد الظن وإنما أريد المعرفة..

– إذن فأنا لا أعرف بصفة قاطعة..

– هذا حسن.. دعينا إذن نتحدث فيما كنت ترتدين في ذلك الوقت..

وتقدم ميسون من المنضدة وفتح حقيبة أوراقه وأخرج منها صورة قدمها للنائب..

وبعد أن تأملها سكادر، أخذها ميسون منه وقدمها للشاهدة وقال:

– إني أطلعك على صورة لجماعة يرتدون ثياب السهرة.. وأنت من بينهم.. فهل كان هذا هو الثوب الذي كنت ترتدينه ليلة وقوع الحادث؟

– نعم..

– وبهذه المناسبة، هل تسمحين لي برؤية عويناتك يا آنسة فيل؟

فصاحت بحدة:

–كلا.. لن أسمح لك بذلك..

وسأله القاضي:

– وما غرضك من ذلك يا مستر ميسون؟

– لقد قررت هذه الشاهدة أن هذه الصورة تمثلها بالهيئة التي كانت

عليها عندما أقام ربان الباخرة وليمته. وقررت أيضًا أنها ذهبت إلى مقصورتها، وهناك التقطت معطف المطر والقبعة، ولكنها لم تلتقط شيئًا آخر.. وهي تقسم أن هذه الصورة تمثلها في الهيئة التي كانت عليها في تلك الليلة فيما عدا معطف المطر والقبعة.. فإذا تأملت سعادتك هذه الصورة..

وقدم ميسون الصورة إلى القاضي، فتأملها هنيهة وأومأ برأسه وقال:

– حسنًا يا آنسة فيل.. هل تسمحين لمستر ميسون أن يتأمل نظارتك؟

فتظاهرت الفتاة بالغضب وخلعت عويناتها وقدمتها لميسون فقال:

– آه.. نعم.. إني أرى الشبه الآن.. إن السبب الذي جعلني أعتقد من قبل أن هذه الصورة ليست حسنة هو إنك لم تكوني واضعة عويناتك عندما التقطت.. وإني أعتقد أنه من عاداتك المقررة ألا ترتدي عويناتك في الحفلات الرسمية.. أليس كذلك؟

– لا أظن أن أية امرأة تبدو جذابة وهي بالنظارة عندما تدعى إلى حفلة رسمية..

– معنى ذلك أنك لم تضعي نظارتك عندما ذهبت إلى سطح السفينة عقب انتهاء وليمة الربان..

– إنني.. إنني..

– لأنه لو أنك كنت تضعينها وكان المطر ينهمر مدرارًا لغطى الماء العدستين ولما استطعت أن ترى الأشياء بوضوح..

– هذا صحيح.. والواقع إنني لم أستعمل نظارتي في تلك الليلة..

– هكذا ظننت.. والآن. ماذا كان طول المسافة بينك وبين مسز موار عندما صعدت الدرج إلى سطح القوارب؟

– أتعني عندما كانت مائلة فوق جثة زوجها؟

– نعم..

– قلت حوالي خمسين أو ستين ياردة.

فتراجع ميسون مبتعدًا عن الشاهدة ووقف أمام ممثل الاتهام وهو يقول:

– أكانت المسافة مماثلة لما بيننا الآن؟

– بالطبع لا. لقد قلت إنها كانت تتراوح بين خمسين وستين ياردة في حين إنك لا تبتعد عني أكثر من عشرين ياردة.

– إذن فإن المسافة التي بيننا هي ثلث المسافة التي كانت بينك وبين مسز موار؟

– نعم..

– وهل كان الضوء على سطح القوارب مماثلاً للضوء الموجود هنا الآن؟

– بالطبع لا.. كان ضوءًا باهتًا ولكنه يكفي لتمييز الأشياء.

– أعني حوالي ثلث الضوء الموجود هنا حاليًا؟

– ربما أقل..

فأومأ ميسون برأسه.. وقال:

– لقد تعرفت على صورة قدمت إليك وقلت إنها صورة السيد الذي كان يبحر على ظهر الباخرة تحت اسم نيوبري؟

– نعم..

– إذن فسأريك صورة أخرى لمستر.. يا لله! إنني لا أستطيع أن استوعب اسمه.. بول.. أين هذه الصورة؟

وقدم دريك صورة ملفوفة لميسون.. وكان ميسون لا يزال يقف أمام ممثل الاتهام.. وقال:

– إني أسألك يا آنسة.. هل تستطيعين التعرف على صاحبة هذه الصورة.. إنها بالحجم الطبيعي..

ونشر الصورة.. فألقت الفتاة نظرة عليها ثم أومأت برأسها.

فسألها ميسون:

– هل كان هذا الرجل الذي ألقى في الماء؟

– نعم..

– هل هذا الرجل هو صاحب الجثة التي رأيت المتهمة تميل فوقها؟

– نعم..

وفجأة قطب القاضي حاجبيه. ومال إلى الأمام في مقعده ليحدق في الصورة. ثم نقل بصره بين ميسون والنائب. وتلاعبت على شفتيه ابتسامة سخرية.

وإذ لاحظ النائب ما ارتسم على وجه القاضي من علامات تملكته الريبة وقال:

– هل جرت العادة بأن يسمح للشهود بأن يطلعوا على صورة قبل أن يسألوا في شأنها؟

فقال ميسون:

– أرجو المعذرة عن خروجي على القاعدة. ولكن هل يعرف حضرة النائب أن الصورة التي أحملها الآن في يدي هي صورة بالحجم الطبيعي لمستر دونالد ب. سكارد.. ممثل الاتهام نفسه؟

وأدار ميسون الصورة إلى ممثل الاتهام والجمهور.. فانفجر النظارة ضاحكين..

ولما عاد النظام إلى القاعة تقدم النائب واعترض على الوسيلة التي لجأ إليها الدفاع للتغرير بالشاهدة. فرفض الدفاع الاعتراض وآزرته المحكمة.

وتحول ميسون للشاهدة وسألها:

– هل لك أن تشرحي لنا كيف أن الجثة التي رأيتها تلقي في الماء هي جثة مستر رونالد سكارد.. النائب؟

فأجابت ببرود:

– إن عويناتي معك. كما أنك كذبت علي بشأن الصورة وقد صدقتك..

– ولكن عويناتك لم تكن معك أيضًا في تلك الليلة..

فلم تجب..

– إذن هل تفسرين لنا كيف أنني حين أريك صورة في الحجم الطبيعي على مسافة لا تزيد على ثلث المسافة التي قلت أنها كانت بينك وبين المتهمة وفي غرفة ضوئها ثلاثة أمثال الضوء على سطح الباخرة في تلك الليلة، فإنك لا تفرقين بين صورة في الحجم الطبيعي لمستر سكادر وصورة مستر موار؟

– هل تسمح بإعادة نظارتي أولاً؟

– تعنين أنه بغير نظارتك لا تستطيعين تمييز الوجوه على هذا البعد؟

– في استطاعتي تمييز الأجسام.

– تمامًا.. تعنين أنك تعرفت عليهما من ثيابهما؟

– جزئيًا.

– بمعنى آخر.. عندما مر مستر ومسز موار فوق سطح الباخرة تعرفت عليهما لقربهما منك. ولكن عندما صعدت إلى سطح القوارب لم تكوني قريبة منهما إلى درجة تمكنك من تمييز وجهيهما ولكنك استطعت رؤية جسميهما. فعرفت أنهما رجل وامرأة ترتدي ثوب سهرة غامق اللون.. أليس هذا صحيحًا؟

– كان هذا كل ما كنت بحاجة إلى معرفته في هذه الظروف..

– إني أسألك.. أليس هذا صحيحًا؟

– كان في استطاعتي تمييزها. وكنت أعرف أن المرأة كانت مسز موار.

– وهل كانت ترتدي ثوب سهرة غامق اللون؟

– ألم أقل ذلك مرتين أو ثلاثًا حتى الآن.

– أليس صحيحًا أنه إذا كانت هناك سيدة أخرى ترتدي ثوب سهرة في لون غامق – وليكن الأزرق مثلاً – كان يمكن أن تبدو مثل مسز موار في مثل هذه الظروف؟

– لم يصعد إلى السطح غير مسز مزار وزوجها.

– ألم تكن هناك سبل أخرى للصعود إلى السطح؟

– هناك الدرج الثاني بالطبع.

– كما لابد أن شخصًا مجهولاً كان موجودًا في المستشفى وأضاء النور؟

– لا أعلم من الذي أضاءه؟

وهنا تدخل القاضي مستأذنًا ميسون في التحدث إلى الشاهدة ثم قال لها:

– إننا نناقش جريمة قتل يا آنسة.. وأنت هنا في محكمة.. وقد أقسمت أن تقولي الحقيقة. ومن الواضح أن قوة أبصارك بغير النظارة كانت أقل منها فيما لو كانت النظارة معك وقتئذ، ولهذا فإني أريد منك أن تجيبي عن سؤال مستر ميسون.

فسألت:

– أي سؤال؟

– إذا كنت تقسمين على أنك رأيت شبحين فقط فوق السطح فإنك لن تستطيعي أن تقطعي أيهما كانت المرأة وأيهما كان الرجل..

– كلا بالطبع.. لم يكن في استطاعتي أن أميز أحدهما عن الآخر.

فقال ميسون وهو يعيد النظارة إلى صاحبتها:

–هذا كل ما أردت معرفته.

وبهذا انتهت شهادة إيلين فيل.. أو بالأصح ذهبت أدراج الرياح.

ونودي شاهد الإثبات التالي، الربان جو هانسون..

وبدأ الربان شهادته بوصف حالة الطقس ليلة الحادث فقال أنه كان عاصفًا وأن المطر كان ينهمر بغزارة مما جعل الرؤية صعبة. وكانت الباخرة وقتذاك على مبعدة ثلاثة أميال من جزر فارالون. ولهذا فإنه أصدر أمره بعدم السماح للركاب بالتجول على الجانب الأيسر من سطح السفينة وأغلق الأبواب المؤدية إليه ولكنه ترك لهم حرية التجول في الجانب الأيمن..

ثم مضى فقال أنه ذهب إلى مقصورة المتهمة عقب سقوط زوجها في الماء وكان يصحبه مساعده، فوجد هناك مسز موار ومستر بيري ميسون والآنستين ديللا ستريت وبيل نيوبري..

وهنا أراد الاتهام أن يسأل الشاهد عما إذا كانت المتهمة قد أفضت بأي اعتراف عندما تحدث إليها في المقصورة، ولكن ميسون اعترض على ذلك قائلاً أنه لا يوافق على إلقاء هذا السؤال على الشاهد إلا إذا أثبت الاتهام أولاً أن مستر موار قد مات فعلاً وكان موته نتيجة حادثة جنائي.

واعترفت المحكمة بوجاهة الاعتراض. وعندئذ طلب الاتهام من الشاهد أن يذكر للمحكمة ما حدث على ظهر الباخرة بعد الساعة التاسعة من مساء الليلة المشئومة.

وأجاب الشاهد بأن عاملة تليفون الباخرة اتصلت ببرج الباخرة وأبلغت سقوط رجل في الماء، فأسرع باتخاذ الإجراءات الضرورية للعثور على هذا الرجل. وأدار الباخرة بحيث تراجعت في الطريق الذي سلكته. وأمر بإلقاء حلقات النجاة وأضاء الأنوار الكاشفة وصوبها إلى الماء، كما أعد قوارب النجاة فلما مضى أكثر من ساعة ولم يثمر البحث في العثور على الغريق أمر باستئناف التقدم إلى سان فرانسيسكو.

– وهل اتخذت الإجراءات اللازمة للتحقق من شخصية الراكب الذي اختفى؟

فحك الربان رأسه وقال:

– نعم.. ولا..

– ماذا تعني بذلك؟

– لقد أمرت جميع الركاب بالعودة إلى مقصوراتهم وعندئذ جاءتني الآنسة إيلين فيل وقالت إنها..

فقاطعه القاضي:

– دعنا من ذلك.. وحدثنا بما فعلته فقط..

– حسنًا.. قبل أن نبدأ في حصر المسافرين ذهبنا إلى مقصورة مستر موار ولكننا لم نستطع العثور عليه..

– معنى ذلك أنك لم تستمر في حصر باقي المسافرين؟

– كلا.

وبدأ القلق على النائب من اتجاه المحكمة في التحقيق وهم بالاعتراض ولكن القاضي لم يسمح له بذلك.. ثم أعلن وقف الجلسة إلى الساعة الثالثة بعد الظهر.

الفصل الخامس عشر

وفي تلك اللحظة تقدم دريك من ميسون وقال أن لديه أنباء عن ديللا.. وأومأ ميسون برأسه. ثم تقدم من مسز موار.. وهمس في أذنها:

– لقد انهارت قضية الاتهام من أساسها فاطمئني فإن القضاء عادل.

وضغطت مسز موار على يد ميسون معربة عن عميق شكرها.. فقال:

– إني مضطر إلى الانصراف الآن. وسأعود عند استئناف الجلسة..

وغادر قاعة المحكمة يتبعه دريك.. وكان دريك قد أعد سيارة خارج البناء فطلب من ميسون أن يركب فلما حاول المحامي أن يعرف منه ما لديه من أنباء رفض الكلام وأمر السائق بالذهاب إلى شارع بركلي..

قال دريك في الطريق:

– يغلب علي ظني أن إيفز كان يدبر حادثًا ضخمًا ولكن مصرع نيوبري أفسد كل تدبيره.. وعندما بدأ رجالي التحقيق في حادث روجر ب. كارتمان في هونولولو تبين أنه أصيب في حادث سيارة وأن عنقه كسر ولكن ذلك حدث منذ ثلاث أشهر.. على أنه رجل واسع الثراء.

وأمر ميسون السائق أن يسرع قائلاً أنه على استعداد لتأدية جميع الغرامات. وحانت من دريك التفاتة إلى مرآة السائق ثم قال فجأة:

– أرى سيارة تتبعنا يا ميسون وأخشى أن تكون سيارة البوليس.

– هذا لا يهمني فإني على استعداد لتأدية الغرامات كما قلت. والآن تكلم عن كارتمان.

– قلت إنه ثرى.. وقد ثبت الأطباء عنقه بسنادة من حديد فجاء إلى المدينة منذ عدة أسابيع.

فصاح ميسون مبهوتًا:

– منذ عدة أسابيع!

– منذ ستة أسابيع على وجه التحديد.. وكانت عودته بالطائرة..

– إذن لماذا عاد إلى هونولولو؟

– إنه يقسم أنه لم يعد إلى الجزيرة.

– وهل تحدثت معه؟

– لقد تحدث إليه أحدث مساعدي في المصحة التي يعالج فيها منذ عودته.

– إذن فإن الممرضة لم تكن تتولى السهر على كارتمان الحقيقي.

– كلا.

– وما هي إذن الفكرة الكامنة وراء هذا كله؟

– قلت لك أن إيفز كان يدبر حادثًا ضخمًا.. فيكفي أن تضع كرة حديدية حول رأس أي رجل عادي ليبدو مثل كارتمان.. إن كارتمان يملك مالاً كثيرًا وهو لا يهتم كثيرًا بإذاعة أنبائه في الصحف، بل لقد حرص على

أن يظل مكان وجوده مكتومًا. ولكن أصدقائه وزملاءه ورجال مصرفه يعلمون كل شيء عن الحادث.

والواقع أن إيفز لم يكن ذاهبًا إلى هونولولو في رحلة شهر العسل.. ولقد أرسل إيفيلين إلى الجزيرة لتلعب الدور الذي لعبته فعلاً.. فكان عليها أن تعثر على من يمثل دور كارتمان، وأن تلعب هي دور الممرضة، وعند وصولهما إلى سان فرانسيسكو كان من المقرر أن تقوم هي وإيفز بعمل احتيالي ضخم.. ولكن الجريمة التي حدثت بالباخرة أثارت اهتمامًا كبيرًا فقررا التزام الهدوء حتى تنتهي العاصفة، ولكن حدث لسوء الحظ أن التقت إيفيلين بموار فحدثها بمتاعبه، وقد أزعج ذلك إيفيلين.. ومما زاد الطين بله أننا عثرنا عليها وأعلناها شاهدة نفي مما أفسد كل تدبيرها وزوجها.

– إذن لماذا لم تحضر إلى المحكمة لتتفادى الحكم عليها بغرامة كبيرة؟

– لأنها وزوجها قطعًا شوطًا بعيدًا في مؤامراتهما فلم يجرؤا على الظهور خشية أن تشير الصحف إلى أن إيفيلين كانت ترافق كارتمان على ظهر الباخرة. وعندئذ تظهر الحقيقة ويتدخل البوليس في الموقف.

فهز ميسون رأسه وقال:

– لقد بدأت أفهم الموقف.. ومع ذلك فإنني في أشد الحاجة إلى شهادة إيفيلين لتبرئة مسز موار.. والآن أخبرني هل عثرت على ديللا وهل هي بخير؟

– نعم.. إنها بخير.. ولكن فيم كل هذه السرعة.. إن السيارة الأخرى ما زالت تتعقبنا..

ولكن ميسون لم يهتم بذلك فقد كان شديد اللهفة على الوصول إلى خاتمة الرحلة المجهولة التي أصر صديقه على أن يكسوها برداء من الغموض والسرية.

وأخيرًا وصلت السيارة إلى شبه معسكر في الضواحي.. وقادهما السائق إلى منزل خشبي صغير وقال:

– إن الآنسة ديللا موجودة في هذا المنزل.

وتقدم ميسون من الباب وأدار المقبض ثم دفع الباب ودخل.وكانت ديللا جالسة في مقعد وثير تقرأ إحدى المجلات، وما كادت ترى ميسون حتى صاحت بدهشة:

– أهذا أنت أيها الرئيس؟!

ففتح ميسون ذراعيه وأخذها بينهما.. فهتفت بصوت مختنق:

– لماذا جئت؟! أنني مضطرة إلى مصارحتك بالحقيقة وقد بذلت قصارى الجهد في إخفائها عنك.

– أية حقيقة؟

– ألم تدر بعد بخلدك؟

فهز ميسون رأسه سلبًا وقال:

– حذار أن تهربي مني مرة أخرى.

– ولكني كنت مرغمة على ذلك.. فلم يكن في استطاعتي أن أضعك في مركز حرج.

فحدق ميسون في وجهها، وبدأت الحقيقة تتبلج أمام ناظريه.. وغمغم:

– إنك..

فأومأت برأسها وقالت: لم يكن في وسعي أن أنقلب ضدك، ثم إن ذلك لم يكن يقدم أو يؤخر في القضية.. كنت أعلم أن القانون لن يجبرني على الإدلاء بالشهادة ولكني خشيت أن تستغل الصحف رفضي.

– ولكن القانون يستطيع أن يجبرك على الادلاء بالشهادة.

– كنت أعتقد أن موقف سكرتيرة المحامي كموقف المحامي نفسه من حيث أن القانون لا يسمح له بالادلاء بشهادة ضد موكله.

– هذا لا ينطبق إلا على المسائل السرية الخاصة فقط، ولكنه لا ينطبق على ما تراه سكرتيرة المحامي، ثم إنك تعلمين إنني أكره حبس الأدلة من كل قلبي.. فأخبريني الآن ماذا رأيت؟

– إني آسفة يا سيدي..

وهنا تدخل دريك في الحديث قائلاً:

– هلا أفصحتما عن موضوع حديثكما.

فأجاب ميسون:

– لقد كانت هي..

وهنا سمعوا جلبة خارج المنزل، ثم فتح الباب ودخل بعض رجال البوليس الملكي وتقدم أحدهم من ميسون وأطلعه على علامة البوليس وقال:

– لدينا أمر بالقبض على هذه الفتاة باعتبارها شاهدة إثبات في قضية أنا موار..

وأدرك ميسون أنه من الخطأ أن يحاول مقاومة البوليس.

وقال رجل البوليس:

– لقد هربت هذه الفتاة من البوليس عندما كان يستعد لإعلانها كشاهدة إثبات بناء على طلب الاتهام.

وقاد رجل البوليس الفتاة أمامهم إلى الخارج.

فقال ميسون:

– ألا تخبرني ما الذي جعل الفتاة تختفي هنا؟

– لقد كانت هي التي اتصلت بعاملة تليفون الباخرة وأبلغتها أن رجلاً ألقى في الماء.. كان ينبغي أن أعرف هذه الحقيقة من قبل ولكني لا أدري لماذا غابت عني.

وشهق دريك.. ثم قال:

– لا ريب أنها لن تقول ما يسيء إلى قضيتك.

فقال ميسون بإصرار:

–بل يجب أن تقرر الحقيقة لأنني سأرغمهما على ذلك.. فإذا كانت موكلتي هي القاتلة فيجب أن تنال جزائها.

الفصل السادس عشر

وفي الساعة الثالثة استأنفت المحكمة نظر القضية. فوقف النائب وقال بلهجة المنتصر:

– عندي أدلة لن تؤدي إلى إثبات جريمة القتل، بل إلى إيجاد الصلة المباشرة بين المتهمة والجريمة، ولكني أرجو أن ألفت نظر المحكمة إلى أن شاهدتي هي الآنسة ديللا ستريت سكرتيرة مستر بيري ميسون محامي المتهمة، وقد رفضت الآنسة الأدلاء بأية أقوال مما يضطرني إلى معاملتها كشاهدة معادية.

وتريث النائب قليلاً. ثم تابع:

– وأرى أن يبدأ الآن بسؤال عاملة تليفون الباخرة.

ونوديت عاملة التليفون.. فتقدمت من منصة الشهود وقالت أن اسمها أديل آرمز وتشتغل عاملة تليفون بإحدى البواخر، كما تعرفت على مسز موار وقالت إنها كانت تدعى مسز نيوبري أثناء الرحلة.. ثم أجابت عن سؤال للاتهام بأنها تلقت محادثة تليفونية من سيدة مجهولة بعد الساعة التاسعة مساء بقليل ليلة الحادث.

فسألها ميسون:

– هل تستطيعين معرفة الصوت الذي حادثك إذا سمعته مرة أخرى؟

– نعم.

– وهل سمعته ثانية؟

– نعم...

وحاول الاتهام أن يسأل الشاهدة عن اسم صاحبة الصوت ولكن ميسون اعترض على ذلك بأنه يجب أن يترك ذلك حتى تنتهي الشاهدة التالية من الأدلاء بأقوالها..

ثم تحول ميسون إلى سكادر وقال:

– إذا كانت سكرتيرتي ديللا ستريت هي التي اتصلت بعاملة التليفون فثق بأنها تخفي ذلك عن المحكمة..

ونوديت ديللا، ففتح باب القاعة ودخلت الفتاة وكان وجهها جامدًا لا يعبر عن شيء كما تحاشت النظر إلى مخدومها، وحلفت اليمين.. وبعد أن أجابت عن الأسئلة التمهيدية.. سألها الاتهام:

– أين كنت في الساعة التاسعة مساء في الليلة التي وقع فيها الحادث؟

– كنت أبحث عن مستر ميسون على سطح الباخرة.. فقد كان على موعد مع مسز موار في التاسعة والنصف.

– وهل كنت قبل ذلك مع أسرة نيوبري وروى هنجر فورد؟

– نعم.

– هل تستطيعين تحديد الوقت الذي ذهبت فيه إلى سطح الباخرة؟

– كانت الساعة حوالي التاسعة فقد سمعت دقات جرس الباخرة وقتئذاك. وخرجت إلى السطح السفلي.

– وهل رأيت أحدا على السطح؟

فترددت ديللا.. ثم قالت:

– حانت مني التفاتة إلى الأمام حيث يوجد الدرج المؤدي إلى سطح القوارب فرأيت طرف ثوب سيدة، وقدميها وركبتيها، وكانت هذه السيدة ترتقي الدرج ثم سمعت أصوات طرق عجيبة أعقبتها ضوضاء عالية، ويغلب على ظني أن رصاصة أطلقت في ذلك الوقت، فتقدمت إلى الدرج الذي رأيت المرأة تصعده. ولكن حدث قبل أن أبلغ الدرج أن اهتزت الباخرة بعنف ففقدت توازني وانزلقت إلى السطح المكشوف المبتل فحاولت أن أستعيد توازني وعدوت إلى مكان مسقوف وتشبثت بالحبال، وعندئذ رأيت شيئًا فوقي.. شيئًا يتأرجح فوق حاجز سطح القوارب.. وكان هذا الشيء مبهمًا في بادئ الأمر لأنني لم أركز نظرتي فيه. فلما حاولت ذلك جهد طاقتي نفذت قطرات المطر إلى عيني.

– ولكنك رأيت شيئًا؟ فما هو هذا الشيء؟

– كان رجلاً..

– وكان هذا الرجل يتأرجح فوق السور؟

– لا أستطيع أن أقرر ذلك بصفة قاطعة.

– وهل رأيت أحد قريبًا منه؟

– نعم.. رأيت امرأة قريبة منه.

فأتى النائب بحركة تمثيلية وهو يشير إلى مسز موار:

– أكانت تلك المرأة هي المتهمة؟

– لا أعلم.

– ولماذا لا تعلمين؟

– لأنني لم استطع أن أراها كلها. فقط رأيت ذراعين عاريتين وقطعة من ثوب أسود.

– هل تقطعين بأن ثوبها كان أسود اللون؟

– كلا.. ولكني أقطع بأنه غامق اللون.

– وهل رأيت شيئًا يميز هذه المرأة؟

– نعم.. رأيت سوارين حول ذراعها اليمنى..

وكانت مفاجأة أذهلت الدفاع ، وخاصة حين قررت ديللا أنها لاحظت أن مسز موار كانت تتزين بسوارين في معصمها الأيمن عند العشاء.

وقال النائب:

– وهل رأيت شيئًا في يد المرأة وهي على سطح القوارب.

– نعم أظنها كانت تحمل مسدسًا.

– وهل رأيتها وهي تطلق النار على جسم الرجل؟

– نعم..

– وماذا حدث بعد ذلك؟

– سقط الرجل في مياه المحيط. ولكني لا أعلم إن كانت المرأة هي التي دفعته أم لا ولم أستطع أن أرى وجهه بالطبع. وكان يرتدي سترة غامقة اللون.. وعندئذ هرولت إلى قاعة الجلوس واتصلت بعاملة التليفون وطلبت إليها إبلاغ برج المراقبة أن رجلاً ألقي في الماء.

– ألقى في الماء؟ لقد قررت منذ لحظة إنك لا تستطيعين أن تجزمي بذلك.

فترددت الفتاة لحظة. ثم قلت: يجوز!

– هل أنت متأكدة من أن الرجل الذي ألقي في الماء هو موار؟

– كلا.

– هل أنت متأكدة من أن المرأة التي أطلقت النار عليه وألقته في الماء هي مسز موار؟

– كلا..

– حسنًا.. في هذا الكفاية.

ونهض ميسون، وتوجه إلى الشاهدة سائلاً:

– هل حدثتني بما رأيت يا ديللا؟

– كلا.. إنني لم أحدث أحدًا بذلك على الإطلاق.

– لماذا؟

فشرحت الفتاة وجهة النظر التي سبق أن أبدتها لمخدومها.. فأعربت المحكمة عن تقديرها للفتاة.

وفي تلك اللحظة تقدم أحد الحجاب من النائب وأسر شيئًا في أذنه، فابتسم ممثل الاتهام.. ثم نهض واقفًا وقال بحماسة:

– ما زال لدي دليل على حدوث الجريمة، وسيعود الاتهام على استعداد لأن يقدم للمحكمة في الساعة العاشرة من صباح اليوم التالي تقرير الأطباء الذين سيتولون تشريح جثة مستر موار، فقد بلغني أن هذه الجثة قد اكتشفت ونقلت إلى المشرحة.

ولم يسع القاضي إلا تأجيل الجلسة إلى الساعة العاشرة من صباح اليوم التالي.

الفصل السابع عشر

في تلك الليلة تناول ميسون طعام العشاء مع سكرتيرته ودريك وراح يلوم الفتاة على اختفائها، فأعربت له عن أسفها، وقالت أنها كانت مضطرة إلى الاختفاء خشية أن تتهم فيما بعد بأنها ضللت العدالة، وأضافت أنها حاولت أن تتصل به عندما حدثت الجريمة لتفضي إليه بما رأت ولكنها وجدته مع مسز موار، ولهذا فإنها كانت تعرب له دائمًا عن عدم ارتياحها إلى توليه الدفاع عنها ولو أنها لم تكن واثقة من أنها هي التي قتلت مستر كارل موار. ولما سمعت دريك يخبره أن مستر سكادر يحاول جاهدًا أن يظفر بشهود إثبات ركبها الخوف وقررت الاختفاء كيلا تحرجه.

قال دريك:

– أظن أن شهادة ديللا قد أساءت كثيرًا إلى موقفنا يا بيري؟

– أظن ذلك.

ودق جرس التليفون، فرفع دريك السماعة وأصغى طويلاً للمتحدث ثم شكره وأعاد السماعة إلى مكانها وقال:

– لقد ثبت أن الجثة التي وجدت هي جثة كارل موار وأن رصاصة أطلقت عليه من الخلف أسفل الكتف اليمنى فمزقت الأغشية واستقرت، ولم تحدث الوفاة مباشرة فقد استطاع الرجل أن يطفو عدة دقائق حتى لقد تمكن من التجرد من بذلته وتشبث بإحدى حلقات النجاة ولكن الموج غلبه

على أمره فمات بتأثير الرصاصة وليس غريقًا. ولا ريب أنه كان سباحًا بارعًا حتى لقد استطاع أن يتجرد من ثيابه فيما عدا الحذاء، ولعله حاول أن يخلعه أيضًا لأن رباط أحدهما كان معقدًا.. ويبدو أنه مات في غضون خمس عشرة إلى عشرين دقيقة منذ وصل إلى حلقة النجاة.

وتريث دريك قائلاً: ثم أردف: وثمة نبأ آخر هام. ذلك أنه تبين أن الرجل قتل برصاصة من عيار ٣٨ ولكن هذه الرصاصة لم تطلق من المسدس الذي وجد على سطح الباخرة.

– ماذا تقول؟

– هذا ما قرره الخبير.

– وهل أطلقت النار عليه مرة واحدة؟

– نعم. وقد شرحت لك تأثير هذا الطلق.

فقال ميسون مستنكرًا:

– ولكن إيلين فيل تقول إنها سمعت طلقتين كما أن المسدس كانت تنقصه رصاصتين.

– هذا صحيح.. ولكن رصاصتي هذا المسدس لم تقتلا موار فيجب أن يكون قد قتل برصاصات مسدس آخر..

– إذن فقد أطلقت ثلاث رصاصات؟

– نعم.

فوثب ميسون واقفًا وراح يذرع الغرفة جيئة وذهابًا. ثم توقف بغتة وقال:

– أظن أنني وقفت على حل المأساة كلها ولكني لا أستطيع التأكد منه إلا إذا اهتديت إلى مكان إيفز وإيفيلين هوايتنج.

وتألقت عيناه فجأة ببريق خاطف.. وقال:

– لقد اهتديت إلى وسيلة تمكننا من القبض عليهما..

فصاح دريك وديللا معًا:

– وكيف ذلك؟

– سأدخل في روع النائب أنني أخفى إيفز وإيفيلين. وعندئذ سوف يقلب الدنيا رأسًا على عقب للعثور عليهما. هلم يا دريك وأعد أدوات فتح الأقفال فسنسطو على أحد المنازل.

– هلا أفصحت أكثر؟

– ألم يخطر ببالك يا دريك أننا تغاضينا عن أهم دليل في القضية كلها.. أنسيت أن صاحبة أستوديو التصوير أبلغتنا أن إيفيلين ابتاعت إطارًا بيضاوي الشكل؟

فهتفت ديللا مقاطعة: هل تعني أنها هي التي...

– نعم.. لقد جاءت اللحظة الحاسمة في القضية كلها؟ يجب أن اقتحم منزل إيفز لأترك هناك مجموعة من بصمات الأصابع..

– ولأي هدف ترمي من وراء ذلك؟

ولكن زميليه لم يستطيعا برغم ذلك أن يفهما مرماه النهائي.

* * *

وبقيت ديللا جالسة في السيارة بينما ارتقى ميسون الدرج الخشبي المؤدي إلى مؤخرة منزل إيفز في شارع ستوكتون وتبعه دريك عن كثب.. وهو يقول:

– إنها مجازفة خطرة يا بيري.. فإذا ضبطنا إيفز ونحن على هذا الحال فإنه لن يتوانى في إطلاق النار علينا.

– طب نفسًا يا بول.

وأخيرًا بلغا الطابق الثالث.. فأدخل ميسون أحد المفاتيح المصطنعة التي معه في ثقب باب المطبخ المطل على السلم ثم فتح الباب. وتريث قليلاً حتى استوثق من خلو المكان، وبعدئذ أخرج مصباحه الكهربائي من جيبه وأضاءه، وتقدمًا بداخل المطبخ ثم إلى غرفة المائدة فغرفة الجلوس، فغرفة النوم.. وهناك عثرا على المقعد ذات العجلتين الذي كان كارتمان المزعوم يجلس فوقه على الباخرة. ثم نظر إلى حالة الغرفة وكانت تدل على أن شخصًا حزم أمتعته ورحل على عجل.

وفجأة عثر ميسون على قطعة مستديرة من الخشب اللمعان لا يزيد طولها عن بوصة ونصف..

فركع على قدميه وأدار أشعة مصباحه في أنحاء أرض الغرفة وقال:

– أبحث عن شظايا زجاج يا بول.

ولم يلبث الرجلان أن عثرا على عدد من هذه الشظايا، وعندئذ عاد ميسون إلى المطبخ وبحث عن صندوق المهملات، فلما عثر عليه رفع غطاءه وهناك عثر على بقايا إطار صورة كما عثر على صورة فوتوغرافية مهشمة فنشرها فإذا هي صورة تشبه شبهًا عجيبًا بيل نيوبري وقد كتب فوقها بالحبر: "إلى أبي مع حبي .. بيل".

وأعاد ميسون كل شيء إلى مكانه ثم قال:

– هذا ما كنت أبحث عنه.. ولم يبق إلا أن نترك مجموعة من بصمات الأصابع ثم ننصرف..

– بصمات الأصابع.. لكن لماذا؟

– لكي يعرف مستر سكادر أنك قمت باقتحام هذا المنزل، ومن المحتمل أن يوجه إليك تهمة الاختطاف.. آه! لعل أفضل شيء تترك فوقه بصمات أصابعك هو المرآة ومنضدة الزينة..

فحاول دريك الاعتراض.. وطالب بالإيضاح ولكن ميسون ضغط أصابعه فوق المنضدة والمرآة فاضطر دريك إلى مجاراته وهو يتذمر..

وعند انصرافهما حاول دريك عبثا أن يستدرج ميسون للكشف عن خطته.. وعندما عاد إلى السيارة قال ميسون لديللا:

– هل استوعبت القصة التي ستقولينها لسكادر يا ديللا؟

– نعم استوعبتها جيدًا..

وانطلقوا بالسيارة إلى مستودع عقاقير، ودخلوا مقصورة التليفزيون وهناك اتصلت ديللا بمستر سكادر.. وقالت له:

– أنا مسز مرجان إيفز الحقيقية يا سيدي ولكني أرجوك ألا تخبر أحد أنني اتصلت بك.. إن زوجي رجل شرير وستجد له صحيفة سوابق تحت اسم جيمس هويتلي أو جيمي كلارك.. أرجو ألا تقاطعني لأنني سأفضي إليك بأمر يتعلق بالقضية التي تحققها. إن زوجي ينتحل الآن اسم مرجان إيفز، وهو يعمل لطلاقي، ومع ذلك فقد تزوج من ممرضة اسمها إيفيلين هوايتنج قبل أن يصدر الحكم بالطلاق.. ولهما مسكن بالمنزل رقم ٣٦١٨ بشارع ستوكتون. وإيفيلين هوايتنج هذه هي الممرضة التي عادت على ظهر الباخرة التي قتل عليها كارل موار وكانت تمرض رجلاً اسمه روجر كارتمان تحطم عنقه في حادث سيارة.. وقد رأى الرجل جريمة القتل كلها.. فقد ذهبت به الممرضة إلى جناح مستشفى البحارة لأمر يتعلق بالعلاج وقت وقوع الجريمة فرأى كل شيء.

لقد دفع روجر كارتمان بسخاء لكي تعنى به، ولكنه لم يكن يعرف أنها متزوجة، فأخذته إلى مسكنها في شارع ستوكتون بعد أن قالت له إنها استأجرته لأجله.. وكانت هي وزوجها قد دبرا خطة لابتزاز بعض أموال المريض، ولما عرفا أنه شاهد الجريمة اتصلا بيري ميسون الذي نقدهما خمسة آلاف ريال مقابل إخراجهما المريض من البلاد.. وكان كارتمان يريد الأدلاء بشهادته ولكنه رجل عاجز.. لقد ذهب مستر ميسون ومعه صديق مستر دريك إلى إيفز ونقلا متر كارتمان منه، فإذا كنت بحاجة إلى شاهد عيان ليصف لك ما حدث لك بالدقة فعليك أن تعثر على مستر كارتمان.. وإذا كان مما

يعاقب عليه القانون أن يلجأ ميسون إلى دفع نقود لإخفاء شاهد فإن العثور على كارتمان سيمكنك من سحق ميسون أيضًا، ولكن حذار أن تذكر اسمي ووضعت ديللا السماعة في مكانها بغير أن تترك لسكادر فرصة الكلام.

وهنأها ميسون على براعتها بينما راح دريك يتمتم ساخطًا لأنه لم يفهم معنى لهذا كله ولو أنه كان يعلم عن يقين أن ميسون يتصرف طبقًا لخطة وضعها.

واقترح ميسون أن يذهبوا إلى إحدى دور السينما، فلما انتهى الفيلم عادوا إلى الفندق وذهبت ديللا بالسيارة إلى الحظيرة ودخل ميسون ردهة الفندق، وعندئذ أحس بيد توضع على كتفه فالتفت خلفه فإذا به يرى رجلاً طويل القامة يقول بصرامة:

- أين كنت؟

- ومن أنت؟

- أحد رجال مكتب النائب العام.

- قل لي أنني كنت في إحدى دور السينما؟

وتقدم رجل آخر وهو يقود بول دريك أمامه، وقدم القادم قائلاً:

-إنني أدعى المفتش بودفتش.. فأرجوكما مرافقتي لأن مستر سكادر يريد أن يتحدث إليكما..

- ولماذا؟

- هناك ما يحمل أن لكما يدا في جريمة قتل.

فرفع ميسون حاجبيه.. وأقبلت ديللا في تلك اللحظة فأمرها ميسون بالصعود إلى المكتب والبقاء فيه، ولكن المفتش أصر على أن يصطحبها معهم.

وركبوا سيارة بوليس مغلقة مضت بهم إلى شارع ستوكتون ثم وقفت أمام منزل مرجان إيفز. وهناك أمرهم مفتش البوليس بالصعود إلى الطابق الثالث.

واستقبلهم سكادر مقطب الجبين وقال لميسون:

– لعلك تشرح لنا ماذا حدث هنا.

– أوه.. وهل حدث شيء هنا؟

– نعم.. وأنت تعلم ما حدث.

– متى؟

– عندما كنت هنا.

– ومتى كان ذلك؟

ورأى ميسون المسحوق الأبيض الذي نثره مندوبو تحقيق الشخصية فوق مختلف قطع الأثاث التي في الغرفة للبحث عن بصمات الأصابع فقال لدريك وديللا محذراً:

– حذار أن تضعا أيديكما على شيء فإن في الأمر خدعة!

فبدأ الغضب على وجه سكادر وقال:

– إننا لسنا في لوس أنجلوس ولن تجديك المراوغة

فهز ميسون كتفيه.. بينما أردف سكادر:

– كان يقيم هنا رجل اسمه روجر. ب. كارتمان وأنت قد أخفيته في مكان ما. وأريد هذا الرجل.

– أنت مجنون بغير شك يا سيدي..

– لقد كنت هنا في أول المساء.. وقد اتفقت مع رجل اسمه إيفز على إخفاء كارتمان كيلا يدلي بشهادته.. والآن.. وهل ستتكلم؟

وابتسم ميسون، ساخرًا، فزاد ذلك من غضب سكادر وأمر مندوب تحقيق الشخصية بالحصول على بصمات أصابع ميسون، فحاول المحامي الاعتراض ولكن رجال البوليس أرغموه قسرًا على إعطاء بصمات أصابعه كما حصلوا على بصمات أصابع دريك وديللا.. ولما فرغوا من ذلك قال سكادر:

– أريد أن أعرف متى رأيت مستر كارتمان لآخر مرة؟

فقال ميسون متظاهرا بالغضب:

– إنني لن أصفح عنك لهذه المعاملة الجافة.. ولن أجيب عن أي سؤال تلقيه علي..

وحاول سكادر أن يسأل دريك وديللا ولكنهما لاذا بالصمت أيضًا. وقطب سكادر حاجبيه. فقال ميسون:

– لو أنك عاملتنا بالرفق لكان من المحتمل أن نجيب عن أسئلتك.. ثم أنك لا تستطيع أن توجه إلينا اتهامًا معينًا لمجرد شك ساورك لأتملك عليه دليلاً..

وسقط في يد سكادر ثم نظر إلى رجاله وأمرهم بأن يسمحوا لدريك وزميله بالانصراف.. وفي الطريق قال ميسون:

– لقد بدأت الخطة تؤتي ثمارها.. فسوف يقلب سكادر المدينة رأسًا على عقب للبحث عن إيفز وزوجته وكارتمان.

وعندما بلغوا الفندق وجدوا مستر تشارلس هويتمور ديل في انتظارهم.. قال إنه جاء ليدفع عشرة الآلاف ريال التي اتفق عليها مع ميسون.. وبعد أن دفع المبلغ ووقعا الاتفاق نهض الرجل وانصرف.

وتحول ميسون إلى دريك وقال له:

– لقد قلت لي أن مرجان إيفز برئ من تهمة قتل منذ حوالي شهرين وإن فان دنسي هو الذي تولى الدفاع عنه.. وقد عرفت أن موار بالذات كان من بين محلفي لوس أنجلوس منذ شهرين وأنه كان محلفًا في قضية قتل تولي فان دنسي الدفاع فيها.. وما أريد معرفته هو هل كان موار بين المحلفين في قضية إيفز؟

فهتف دريك: يا لله.. لو أنه كان بين المحلفين في هذه القضية فإن إيفز يكون مدينا له بالشكر.. ثم إن إيفيلين كانت صديقة موار وقتًا طويلاً. فلا ريب في أنها حين عرفت أنه بين المحلفين في محاكمة حبيبها استخدمت نفوذها للتأثير عليه.

– هذا بديع.. لقد أصبحت محاميًا عظيمًا.. هيا اذهب رسل مكتبك في أنجلوس للتأكد من هذه المعلومات. وأما أنا فسأذهب إلى المشرحة وهناك سأعلن بأعلى صوتي أن الجثة التي وجدت لم تكن جثة كارل موار.

– هل تعني أنهم تعرفوا على جثة أخرى؟

– سوف أصرح لمندوبي الصحف بأن الجثة ليست جثة كارل موار.

الفصل الثامن عشر

شهد صباح اليوم التالي جلسة محاكمة مسز موار. وفيها نهض النائب وقال للقاضي:

– لقد علمت في الساعات الأخيرة أن هناك شاهدا آخر للجريمة كان موجودًا على بعد أقدام قليلة من المتهمة عندما أطلقت رصاصتها الأولى.. ولقد حاولت أن أعثر على شاهد العيان هذا ولكني فشلت. عموما أرجو مخلصًا أن أتمكن من تقديمه للمحكمة في غضون يومين، ولهذا فإني أطلب تأجيل المحاكمة يومين.

فهب ميسور واقفًا. وصاح:

– إنني اعترض على التأجيل واعتبره من باب الدعاية.

فقال النائب بحدة:

– إن السبب في عجزي عن إحضار الشاهد إلى المحكمة هو أن بيري ميسون يخفيه. ولدى من الأسباب ما يحملني على الاعتقاد بأن الشاهد يختفي مرغمًا.

فصاح ميسون:

–هذا اتهام جائر..

فتدخل القاضي قائلاً:

– هل تدري يا مستر سكادر خطورة الاتهام الذي توجهه إلى الدفاع؟ وهل أنت على استعداد للتدليل على صحته؟

– نعم يا سيدي.. إنني لا أستطيع تقديم الدليل في اللحظة الراهنة ولكن مكتبي يأمل في الحصول عليه قريبًا جدًا وعندئذ سنتخذ الإجراءات الجنائية قبل حضرة المحامي.

ولكن ميسون أصر على أن يتقدم الاتهام بالدليل فورًا. فطلب النائب من الحاجب أن يستدعي مابيل فوس. ودخلت صاحبة أستوديو التصوير، ة قالت إنها رأت ميسون أول أمس وأنه طلب إليها أن تعطيه صورًا كانت مسز إيفز مرجان قد عهدت إليها بتحميضها قائلاً إنه جارها وصديقها.

– ومن هو مستر مرجان إيفز؟

– إنه ساكن الطابق الثالث من المنزل الذي يوجد فيه الأستوديو.

ثم قالت أنها تعرف مرجان إيفز منذ شهرين. وعندما قدم لها النائب صورتين لمرجان وهو يرتدي ثياب السجن تعرفت عليه من فورها.. وسألها:

– وهل جاءك مستر ميسون ليحصل على صور خاصة بزوجة مستر إيفز؟

– نعم.

– وهل تعرفين روجر ب. كارتمان؟

– لقد رأيته عقب عودته من هونولولو مع مسز إيفز، فهي ممرضته وكان يعاني من كسر في عنقه.

– وهل نقل من النقالة إلى الشقة التي يستأجرها مستر إيفز؟

– نعم.

وصرف سكادر الشاهدة، ثم نودي الشاهد الثاني، كريستوفر بورج. وكان رجلاً بدينًا يتصبب عرقًا.. فجلس في مقعد الشهود، وسأله النائب:

– إن اسمك كريستوفر بورج وأنت تعمل الآن ومنذ عدة سنوات كأخصائي في إدارة المباحث الجنائية؟

– نعم.

– إذن أنظر في الصورة التي تعرفت عليها الشاهدة السابقة، فإن بصمات أصابع صاحبها مطبوعة فوقها، وأخبرنا هل عرضت عليك هذه البصمات من قبل؟

– نعم، عرض علي الشخص نفسه، واسمه جيمس هويتلي وجيمس كلارك.

– هل له سجل جنائي أعني سوابق؟

– نعم إن له سجلاً جنائيًا.

– وماذا جاء في هذا السجل؟

– أتهم مرتين بالسرقة وسجن في سان كونتين، ومرة أخرى في فولسوم بتهمة الاعتداء، كما قبض عليه ثلاث أو أربع مرات وحوكم بتهمة قتل.

ومد سكادر يده وأخذ صفحات بصمات الأصابع وضمها إلى الأدلة. ثم سأل:

–هل ذهبت إلى مستر مرجان إيفز ليلة أمس؟

– نعم.

– ماذا فعلت هناك؟

– استخدمت المساحيق الخاصة فوق أدوات مختلفة لإظهار بصمات الأصابع التي قد تكون موجودة بالمنزل.

– وهل أعددتها وصورتها؟

– نعم.

وأخرج بورج رزمة من صور بصمات الأصابع في جيبه وقدمها لسكادر الذي قال بصوت عال: وهل وجدت بين هذه البصمات بصمات الرجل صاحب السجل الجنائي؟

– نعم.. في أماكن متعددة بالمنزل؟

– وهل وجدت بصمات أخرى غير بصمات هذا المجرم السابق؟

– نعم.. عثرت على بصمات بيري ميسون وبول دريك كما عثرت على بصمات أرجح أنها بصمات الرجل المريض فوق المقعد المتحرك وبصمات امرأة أيضًا.

– وهل صورت كلا منها على حدة ورقمتها؟

– نعم..

وضمت هذه البصمات إلى الأدلة أيضًا بغير اعتراض من ميسون.. وبذلك انتهى الاتهام من سؤال الشاهد. فنهض ميسون وبدأ في استجواب الشاهد:

– كم عدد الأشخاص الذين توليت أخذ بصمات أصابعهم يا مستر بورج؟

وقال بورج: لا أستطيع تحديد العدد فقد أخذت آلاف البصمات..

– ومن كان أول من أخذت بصمات أصابعه؟ ومتى؟

فابتسم بورج وقال:

– لا أذكر.. وربما كان ذلك منذ خمسة عشر عامًا.

– ومن كان آخر من حصلت على بصمات أصابعهم؟

– كارل موار. فقد أخذت بصمات أصابعه في الساعة الثانية من صباح اليوم، كان ذلك في مشرحة المدينة.. وبعد أن أفضيت إلى مندوبي الصحف بتصريحك الذي قلت فيه أن الجثة التي عثر عليها ليست جثة كارل موار.

فتردد ميسون قليلاً ثم سأل:

– هل أنت واثق من أن الجثة جثة كارل موار؟

– بالطبع.. لقد بقيت الجثة في الماء يومين ولكني استطعت الحصول على بصمات أصابع القتيل بغير عناء لأن البصمات لا تتغير حتى بعد

الموت، كما أنني قارنتها ببصمات أصابعه عندما التحق بعمله بشركة المنتجات الصناعية ووجدتها مطابقة لها تمامًا.

فتقدم ميسون من منضدة كاتب الجلسة، وأخذ رزمة صور البصمات وكانت كلها مرقمة، كما أخذ صور بصمات كارل موار من بورج وضمها إليها.. وتأملها قليلاً.. ثم مزجها بعضها ببعض.. وبعدئذ التقط منها واحدة وسأل:

– بصمات من هذه يا مستر بورج؟

فتأمل الرجل البصمات وأجاب:

– إنها بصمات إيفز مرجان التي عثرت عليها في منزله.

فوضعها ميسون جانبًا وقدم له صورة أخرى وسأله عن صاحبها فأجاب:

– إنها بصمات كارل موار التي حصلت عليها في المشرحة ليلة أمس..

– وهذه؟

– بصمات أصابع المرأة التي أعتقد أنها كانت تعني بروجر كارتمان.

وفجأة قال ميسون:

– أصغ إلي.. إنك تبني أقوالك هذه على المذكرات المكتوبة في أسفل الصورة وليس على البصمات نفسها.

– بالطبع.. فيجب أن أجد وسيلة للتعرف على الصور، ولكني أستطيع باستخدام العدسة المكبرة أن أتعرف عليها..

– وهل تستطيع أن تفعل ذلك في المحكمة؟

– نعم..

فأخذ ميسون رقعة من الورق من جيبه وأحدث بوسطها ثقبًا كبيرًا ثم وضعها فوق إحدى الصور بحيث لم يظهر منها غير البصمات.. ثم قال:

– دعنا نعطي هذه الصورة على النمط الذي صنعته بهذه الصورة لنرى أن كان في استطاعتك أن تتعرف على هذه الثلاثة منها فقط.

فأخرج بورج عدسة مكبرة من جيبه ومال فوق الصورة ليتأمل البصمات. وقال:

– يجب أن أرجع لمذكراتي الخاصة التي معي. فإن اثنتين من هذه الصور متشابهتان.

وأخرج الشاهد مفكرة من جيبه، وبعد أن قلب بعض صفحاتها التفت إلى القاضي وقال:

– هذه بصمات روجر ب. كارتمان.

وسجل ميسون علامة معينة فوق الصورتين.. ثم رفع الورقة وقال:

– ما دمت خبيرًا متعمق البحث في شئون البصمات، فهل لك أن تفسر لنا كيف أنك خلطت بين بصمات كارتمان وكارل موار؟

وحدق بورج في وجه ميسون مبهوتًا. بينما وثب سكادر واقفًا وتقدم إلى جانب الشاهد.. أما القاضي فتطلع إلى ميسون حائرًا.. وقال:

– هل لي أن أفهم أن الشاهد خلط بين البصمات؟

– كلا.. إن صديقي ممثل الاتهام حين يدرك المعنى الحقيقي لشهادة هذا الخبير، سوف يتبين تمامًا أن القضية المقدمة ضد السيدة أنا موار قد انهارت من أساسها وإلا فسيجد نفسه مضطرًا إلى أن يوضح للمحلفين كيف أن رجلاً اتفق الجميع على أنه قتل في عرض البحر في اليوم السادس من هذا الشهر كان موجودًا بشارع ستوكتون مساء يوم ٧ من الشهر نفسه.

فصاح سكادر:

– إن في الأمر خدعة.

فابتسم ميسون وقال:

– إذا كانت هناك خدعة فعلى الاتهام أن يكشفها.

وهنا التمس الاتهام تأجيل الجلسة لفترة قصيرة.. ولم يمانع ميسون.

وقال: هناك مسألة أخرى لا تتحمل التأجيل وتلك أن الاتهام قال إنني أخفي شاهدًا عن العدالة، في حين أن لدي من الأسباب ما يحملني على الاعتقاد أن النيابة تحتفظ في السجن بشاهدة تفيد الدفاع هي إيفيلين هوايتنج التي كانت تؤدي دور الممرضة لروجر كارتمان.

فسأل القاضي:

– هل يحتفظ القاضي بمثل هذه الشاهدة؟

وأخذ سكادر على غرة.. وأجاب:

– لقد كنت أبحث عن الآنسة هوايتنج. وقبض البوليس عليها منذ ساعة وقد كنت استجوبها في مكتبي ولكني لم أظفر منها بشيء ذي قيمة، ولكن لم يخطر ببالي أنها من شهود الدفاع.

وبينما كان الحاجب يستدعي الشاهدة سأل القاضي بيري ميسون:

– هل أفهم مما دار بينك وبين مستر بورج أنك واثق من أن الجثة التي عثر عليها ليلة أمس ليست جثة كارل موار.

– كلا يا سيدي إن ما قصدت إليه من تصريحي لمندوب الصحف ليلة أمس هو أن أرغم الاتهام على أن يستخدم كل وسيلة مستطاعة للحصول على بصمات أصابع موار.

– إذا كانت الجثة هي جثة موار فكيف تفسر وجود بصمات أصابع موار على المقعد المتحرك الذي وجد بمنزل إيفز؟

– أظن أن هذا ليس من واجبي وإنما هو من واجب الاتهام.

ودخلت إيفيلين هوايتنج إلى القاعة في تلك اللحظة. وأقسمت اليمين.. وعندئذ قال ميسون:

– أريد أن تفسح المحكمة صدرها عند استجواب هذه الشاهدة حتى يمكن الكشف عن الحقيقة.

والتفت إلى إيفيلين وقال:

– لقد أقسمت يمينًا، فإن كذبت فستحاكمين.

فأومأت برأسها,, فقال:

– لقد كنت صديقة رجل تعرفينه باسم مرجان إيفز.. فهل تعرفين أن له سوابق جنائية؟

فترددت لحظة.. ثم أجابت:

– نعم..

– وهل سألك أن تتزوجيه؟

– نعم..

– ألم يقبض على مرجان إيفز.. ويحاكم بتهمة ارتكاب جريمة قتل في لوس أنجلوس.

– نعم.. وقد برئ.

– ألم يكن موار بين المحلفين في هذه القضية؟

– نعم..

– ألم تعرضي رشوة على موار؟ لا جدوى من الإنكار يا آنسة فقد عرفت الحقائق كلها.. فخير لك أن تقولي الصدق.

– كلا.. لم أفعل.

فقال ميسون بهدوء:

– بعد أن استقال موار من عمله كمحلف عقب انتهاء محاكمة إيفز ظهرت عليه علامات الثراء المفاجئ، ولما وجد الرجل أنه يملك خمسة وعشرين ألف ريال سافر إلى هونولولو ليقضي العطلة.. ولم يكن مستر موار

رجلاً لبقًا فلم يستطع كتمان النعمة التي هبطت عليه، ولا تحديد المصدر الذي حصل منه على المال، واكتفى بأن غير اسمه وبدأ حياة جديدة.

وعلى أثر انتهاء محاكمة إيفز قدم مستر فان دنسي المحامي الذي تولى الدفاع عنه للمحاكمة بتهمة رشوة محلف، وأجرى النائب تحقيقًا في الأمر وأصبح لا مفر لفان دنسي وإيفز معًا من العمل على الحيلولة دون ظهور موار أمام المحلفين في قضية المحامي.. ولكن محاولات مستر موار لإخفاء شخصيته كانت كافية لإقصائه عن المحاكمة الجديدة، ولكنها لم تكن كافية لذر الرماد في أعين البوليس.. وعندئذ وقع الاختيار على مرجان إيفز ليسافر إلى هونولولو ويتفق مع مستر موار على وسيلة أخرى مجدية للاختفاء. وعهد إليه بهذه المهمة.. فذهبت إلى هونولولو وشرحت الموقف لموار واتفقت معه على أن يختفي اختفاء تامًا..

وكانت هذه الخطة مدبرة بعناية من قبل، دبرها فان دنسي وإيفز وربما أنت أيضًا.. وقد كنت تعلمين أن رجلاً اسمه روجر ب. كارتمان أصيب في حادث سيارة وأدخل إلى أحد المستشفيات للعلاج. فابتعت تذكرة باسم كارتمان ليبحر على نفس الباخرة التي كان موار سيبحر عليها مع أسرته تحت اسم كارل نيوبري. وكان موار يزور مقصورتك بين الحين والحين فتضعين الكرة الحديدية حول رأسه والعوينات الضخمة على عينيه حتى تخفي ملامحه تمامًا، ثم يجلس على المقعد المتحرك وتخرجين به إلى سطح السفينة للرياضة.

وفي ليلة ٦ وبعد أن أصبحت ملمة بعادات إيلين فيل من حيث خروجها إلى سطح السفينة عقب تناول طعام العشاء مباشرة — وكانت الليلة عاصفة

– اتفقت أنت وموار على أن يرتكب حادث انتحار وهمي بأن يطلق الرصاص على نفسه ويثب في الماء... وكنت تتوقعين جذب انتباه الآنسة فيل إلى درجة أنها ترى ما قد يبدو لها كأنه جثة رجل تلقى في الماء.

ولكن جعل الآنسة فيل تصعد إلى سطح القارب، وبدلاً من أن يرتكب موار حادث انتحار تحول الحادث إلى جريمة قتل واتهمت زوجته بقتله.

وبعد هذه الجريمة التمثيلية عاد موار إلى مقصورتك حيث تقمص شخصية روجر ب. كارتمان وحمل بمقعده من الباخرة إلى ناقلة أخذته إلى منزل إيفز بشارع ستوكتون.

ومع أنه كان من المتوقع إلا يكون لحادث انتحار موار أثر يذكر إلا أن الموقف انقلب رأسًا على عقب وتعقد تمامًا عندما ذهبت أنا إلى لوس أنجلوس وأثبت أن مستر موار لم يختلس أي أموال من الشركة التي كان يعمل بها.. وعندئذ قرر مستر إيفز أنه من الخير له أن يهجر منزله بشارع ستوكتون لاعتقاده أن هناك خطرًا من العثور على روجر كارتمان بهذا المنزل.

وقد ذهب إيفز بك إلى منزل جبال سانتا كروز. ولكن هل تعلمين أنه بعد أن ذهب بك إلى هناك أخبر مستر موار أنه أعد له مكانًا آخر للاختفاء ثم نقله إلى يخته وذهب به إلى جزائر فارالون وظل يتجول باليخت في عرض البحر حتى عثر على حلقة نجاة من تلك التي كانت الباخرة قد ألقتها في الماء ليلة العاصفة ثم أطلق النار على مستر موار وجرده من ثيابه ووضع جثته في حلقة النجاة وتركها عائمة على صفحة ماء المحيط وهو يعلم أنها لن تلبث أن تكشفت بعد يوم أو يومين..

وتريث ميسون.. بينما أصفر لون الفتاة ولزمت الصمت.

واستأنف ميسون الكلام فقال:

– لا نزاع في أنك فهمت ما حدث عندما قرأت في الصحف أن جثة موار قد وجدت.. أظن أنك تدركين عظم المسئولية الملقاة على عاتقك وأنه من مصلحتك أن تكشفي عن الحقيقة.

فخفضت الفتاة رأسها ثم نهضت واقفة وقالت ببطء:

– إن كل ما قلته صحيح يا سيدي.. لقد كنت أظن أن مرجان برئ عندما كان يحاكم في لوس أنجلوس. وكنت أعتقد أن القضية ملفقة ضده، ولذا كنت على استعداد لأن أفعل أي شيء لتبرئته. ولكن فان دنسي قال لي أنه سيدان وأن النيابة ستتمكن من ألقاء القبض على كثيرين من شركاء إيفز.. كما قال أن هؤلاء الشركاء على استعداد لأن يبذلوا بسخاء في سبيل إنقاذ إيفز وأنفسهم من حبل المشنقة.. وكنت قد تقابلت مصادفة مع كارل موار في أحد شوارع لوس أنجلوس وعرفت أنه بين المحلفين فشرحت له الموقف وأكدت له أن إيفز برئ حتى جعلته يعتقد في النهاية أن القضية كلها ملفقة.

– لقد اشتريت إطار صورة في اليوم السابع من هذا الشهر يا آنسة.

– نعم.. كان كارل يحب ابنة زوجته حبًا جنونيًا.. ولكي تحول دون استدعائه كشاهد في محاكمة فان دنسي ومرجان، كان من الضروري أن يتظاهر بأنه أقدم على الانتحار، ولما كان يعلم أنه لن يستطيع رؤية بيل قبل انقضاء عدة سنوات فقد أراد الاحتفاظ بصورتها لتبقى معه ولكنه لم يكن يرغب في أن تعرف زوجته أنه أخذ الصورة لئلا يثير ذلك ريبتها في أمر

انتحاره، فاستبدل صورة ابنته بصورة أخرى للممثلةويني جويس التي تشبهها تمام الشبه. ولكن حدث لسوء الحظ أن اكتشفت مسز موار أن الصورتين قد استبدلتا عقب استبدالهما مباشرة.

– وهل كنت أنت التي أرسلت الرسالة لموار ليلة الحادث؟

– نعم.. وكان ذلك طبقًا لخطة موضوعة.. فقد كنا قد أعددنا دمية على شكل رجل لكي ألقيها في الماء وتركتها في مستشفى الباخرة.. وفي ليلة ٦ انتظرت حتى خرجت الآنسة فيل إلى السطح ثم أرسلت رسالة بذلك إلى موار إذ كان عليه أن يأتي إلى السطح. وكان من المقرر أن نجذب الدمية إلى السور ونطلق رصاصتين من المسدس للفت أنظار الآنسة فيل وبعدئذ نلقي الدمية في الماء ونترك مسدس كارل موار حيث يحصل عليه على سطح القوارب.. وكان من المقرر أيضًا أن يأتي كارل إلى مقصورتي حيث يتقمص شخصية المريض بصفة نهائية طوال مدة الرحلة.

– وكيف اتفق أن اشتبك ثوبك بالسور فتمزق؟

فقال بغير تردد:

– ألقيت بثوب السهر من كوة المقصورة فحملته الريح فاشتبك بحاجز الباخرة وتمزق منه جزء هو ما بقى بالحاجز وطار الباقي. لقد رأتني الآنسة فيل وأخذب الدمية عبر سطح القوارب وتصادف أن كانت سكرتيرتك الآنسة ديللا تقف في السطح الأسفل ورفعت عينيها إلى أعلى عندما كنت ألقي الدمية في الماء وأطلق الرصاصة الثانية، وعرفت أنها أسرعت إلى التليفون لتبلغ برج المراقبة في الباخرة أن

رجلاً سقط في أليم وأنها سترغم أن آجلاً أو عاجلاً على التصريح بما رأت.. ولكني كنت واثقة من أنها لا تستطيع أن تميز ملامحي لأن المطر كان ينفذ إلى عينيها.

وختمت الفتاة اعترافها قائلة بضراعة:

– أرجو أن تقدروا موقفي.. لقد كنت أرمي إلى مساعدة الرجل الذي أحبه لأنني كنت أعتقد أنه برئ.. فلما قرأت الصحف صباح اليوم عرفت السبب الذي تركني إيفز من أجله في المنزل الجبلي.. لقد ذهب ليتخلص من موار وكان يعتقد أن ذلك سيسكته إلى الأبد وأن تهمة القتل ستلتصق بمسز موار. ولكن يبدو لي..

– لقد ارتكب خطأ فاحشًا حين ترك حذاء موار في قدميه. إذ أن المفروض حين سقط كارل موار في أليم أنه كان يرتدي ثيابه كاملة. ولكني حين لاحظت أن الحذاء ذو عنق أدركت الخدعة، كما أنه تبين أن الرصاصة أطلقت عليه من مسدس آخر غير مسدسه فكشفت لي الحقيقة.. إنني آسف يا آنسة ولكن هذا هو ما حدث.. ولعله كان من واجبي أن أعرف الحقيقة مبكرًا، ولكني لم أتذكر قصة محاكمة إيفز ووجود موار بين المحلفين، كما نسيت موضوع صورة بيل في غمرة الحوادث وخصوصًا إنها اختفت من حقيبة لا يملك أحد غير موار مفتاحها.

وكان هذا خاتمة الوجه الآخر.. فأصدر القاضي حكمه ببراءة مسز موار.

الفهرس